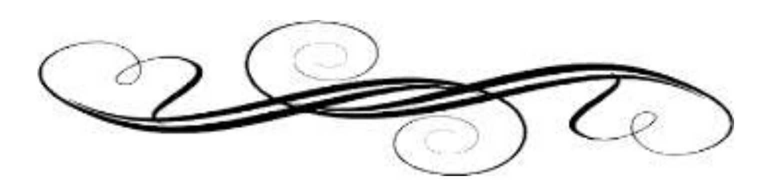
على مقهى الأربعين

مقالات



د. محمد فتحي عبد العال

الطبعة الأولى ٢٠٢٢



عنوان الكتاب: على مقهى الأربعين

اسم المؤلف: د. محمد فتحي عبد العال

التصنيف الأدبي: مقالات

رقم الإيداع: 25915 / 2022

الترقيم الدولي: 7 - 271 - 998 - 977 – 978



التدقيق اللغوي: د. هبة ماردين

تصميم الغلاف: منى الموجي

التنسيق الداخلي: محمد وجيه

رقم الطبعة: الطبعة الأولى

المدير العام: د. فادية محمد هندومة

دار ديوان العرب للنشر والتوزيع - مصر – بورسعيد

تليفون: 00201211132879 – 00201030502390

بريد الدار: mohamedhamdy217217@gmail.com

على مقهى الأربعين

مقالات

د . محمد فتحي عبد العال

ديوان العرب للنشر والتوزيع


بسم الله الرحمن الرحیم

إهداء

إلى روح والدتي الغالية السيدة ناريمان عبد الفتاح أحمد زردق.

وإلى روح أخي العزيز الأستاذ أحمد فتحي عبد العال.

وقد شاء الله أن يكون موعد رحيلهما في نفس اليوم من شعبان لعامين متتاليين أهدي هذا الكتاب متمنياً أن يكون صدقة جارية على روحيهما.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عنْه عَمَلُهُ إِلَّا مِن ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِن صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو له).

د. محمد فتحي عبد العال

****

مقدمة

على مقهى الأربعين كتاب جامع لعدد من المقالات التي أكتبها وقد بلغت الأربعين وهي تناقش قضايا مجتمعية ومهنية بشكل واقعي يكشف الثغرات وعناصر الضعف داخل الجسد المريض ويطرح بعض الحلول لعلاجها.. ولأن أمراضنا متصلة بين الماضي والحاضر فهدف هذا الكتاب هو المستقبل وقارئ الغد الذي إما أن يتحسر على واقعه منضماً إلى مقهانا وإما أن ينخرط في صناعة واقعه، ويغزل من تجربته كتاباً يشرح فيه نهضة أمته لأجيال قادمة بعده..

وحتى يأتي هذا الزمن البعيد فلنتسامر معاً على مقهى الأربعين..

والله من وراء القصد
د. محمد فتحي عبد العال

****

ملحوظة: جميع الوقائع والشخصيات بهذا الكتاب من وحي خيال المؤلف.. وأي تشابه في الأحداث أو الشخصيات أو الأسماء هو من قبيل المصادفة لا أكثر.

محنة النقد الأدبي في مصر

لربما تنفق ثلاثة أرباع عمرك ونيف حتى تصير مشهوراً في مصر.. هذا بالطبع لو أردت تحصناً عن ركوب التريند بالمهاترات والإسفاف وكان دائبك هو العمل على إصقال ذاتك وبناء معارفك وتغذية مواهبك..

طريقٌ وعرٌ وشاقٌ قد تصل وقد لا تصل، ولأنك في مصر فلن تصل في الغالب، لكنَّ عزاءَك الوحيد سيكون أنك اخترت أن تحترم ذاتك وتعطي نفسك قدرها.

النقد الأدبي بطبيعة الحال هو وسيلة هامة في مسار أي كاتب أو أديب يسعى للتطوير الدائم؛ فهو النظرة الخارجية المتفحصة والنابعة من مسؤولية مجتمعية يقوم بها ناقد مؤهل لهذه المهمة، وليست تفضلاً أو فوقية من أحد كما يذهب بعض النقاد في مسلكهم. والناقد الحاذق كالتاجر الماهر الذي ينظر بعين ثاقبة للسلع بذكاء، فلكل سلعة زبائنها والناس فيما ينشدونه درجات؛ فالكاتب العامي له من يفهمه والكاتب بالفصحى له مريدينه، والكاتب الذي يغزل العلم بالأدب له جمهوره والكاتب الديني له أتباعه وهكذا، والفيصل المضمون ووجاهته، فلا ينبغي للناقد أن ينتقص من سعي الكُتّاب واجتهاداتهم كلٌّ بحسب ثقافته وخلفيته.

في المقابل لابد وأن يتحلى الكاتب بالقدر المطلوب من رحابة الصدر والتواضع واحترام ثقافة الاختلاف، وتقبل النقد بأريحية وهدوء والاستفادة منه.

بالطبع ليس كل ما يتخيله المرء يناله بالشكل المثالي الذي يظنه خاصة لو كان النقد المنشود في بلاد النيل الحبيب!!

فالنقد في مصر في الماضي والحاضر تقوم عليه شبكة معقدة من الشخصيات التي تحكمها اللا معايير وتنظمها المنافع المتبادلة.

فمن النقاد من يلهث وراء المشاهير، فهو بذلك في دائرة الضوء بجانبه ولن تضيع حروفه سدى بالمقارنة بالوقوف مع كاتب مبتدئ.

ويا حبذا لو عمل الكاتب المشهور كان مرشحاً للحصول على جائزة، فالنقاد والكتاب سيتسابقون حتماً لكيل المديح للكاتب والتغزل في إبداعه. وستدهش يا عزيزي حينما تعلم أنّ كثيراً من هؤلاء النقاد لم يطلعوا على كامل الرواية أو قرؤوا مقتطفات منها، ولكنها فرصة الالتفاف تحت مظلة شهرة الكاتب والكتاب الحائز على جائزة كبيرة لكن الذي يغرقك في الضحك ماذا لو تبدل الأمر وخسرت الرواية، فالجميع سيهرب ويتنصل وبعضهم يعتمد على ذاكرة السمك لدى الجمهور ونسيانهم مديحه بالأمس القريب، ويتحول وبسرعة لرشق الرواية بالنقصان وصاحبها بأقذع الصفات والأوصاف!!

ومن النقاد من يبحث عن المقابل، فلكل شيء مقابل، والكاتب سيحصد نتاج كلمات الناقد في الارتفاع بمبيعات كتابه، وتحت عنوان المقابل مآرب شتى وأشكال متعددة تخضع لدرجة التنازلات بين الطرفين.

حدثني صديق أنه ومع أول عمل روائي له كان يظن أن النقاد سيتلقفونه لا يهم أن يكون النقد سلباً أو إيجاباً، ولكن الكتاب حتماً سيكون في دائرة الضوء وهذا هو مبتغى الكاتب في المطلق.

ولكن ما حدث معه كان العكس تماماً؛ فقد بدأ رحلة شاقة على نفسه في البحث عن النقاد؛ فبدأ بالصف الأول، وبدأ بصحفية مرموقة تشغل منصباً كبيراً في إحدى الصحف، ومر ما يقارب من عامٍ وصديقنا ينتظر، والصحفية ترد باقتضاب أنها تفتقد الشغف للقراءة!! ومع عودة الشغف ستقرأ الرواية والوقت يمر وما بال الشغف لا يأتي!! وما حكاه لي صاحبي في ابتسامة ساخرة لا تخلو من حسرة أن الصحفية كانت يومياً تعرض على صفحات المشاهير عمل قراءة عن كتبهم، كما أن فقدان شغفها نحو قراءة روايته لم يمنعها من الإعلان اليومي عن رواية ابنتها المبتدئة والتقريظ لها! وقد فترت همته في النهاية مع كثرة الصد وعدم الرد من كبار النقاد في مصر واعتمد في النهاية على أصدقائه من الكتاب وبعض قرائه..

الحقيقة أن النقاد في مصر يتفاوتون في درجة الثقافة؛ فمنهم من يمارس النقد على الفطرة وهؤلاء أطيبهم وأخطرهم، فهم يمارسون النقد كسباً للود فلا يردون أحداً ولا يخيبون رجاء أحد وتخرج كتاباتهم كلاماً معسولاً لا

يحقق الهدف المنشود والغرض المرجو من مهمة النقد، ومن النقاد أيضاً الناقد الحاقد وما بين النقد والحقد استبدال حرف بسيط لكن خلف هذا الحرف نيران لا تهدأ ساعية للهدم والخراب؛ فالناقد الحقود مهمته نقد المشاهير بقسوة والنيل منهم واتهامهم بالسرقة وابتزازهم أحياناً ومن أظرف ما رأيت من هؤلاء النقاد ناقد يضع صورة كتاب من الأكثر مبيعاً لكاتب مشهور ما، وإلى جانبها يعمد لوضع صورة لرواية أجنبية ويختارها بذكاء فهي غير مترجمة ليصعب مهمة التحقق؛ زاعماً أن الكاتب المشهور قد سرق روايته منها دون أن يشير إلى مواضع السرقة والاقتباس واعداً الوسط الأدبي منذ عشرات السنين بمنتجه الأدبي عن السرقات الأدبية وهو المنتج المتعثر في ولادته حتى الآن.

ومن النقاد أيضاً من يعتمد على سابق خبرته في الكتابة والسرد فينصب نفسه إلهاً وللأسف الشديد هناك من يتخذ هذا اللقب فعلياً ويفاخر به والعياذ بالله، وهذا النوع من النقاد لا يتورع عن تدمير الآخرين بنقده في سبيل الانتصار لذاته ولمدرسته دون فهم أن العمل الأدبي ليس فقط مجموعة من الكلمات المنتقاة من المعاجم والمطرزة جنباً إلى جنب بتشبيهات واستعارات وكنايات، فالفكرة الجديدة والمعالجة المختلفة وسلامة المقاصد كلها عوامل هامة وإخفاق الكاتب في بعض أدوات الكتابة ليست نهاية العالم، فمع الوقت والمثابرة وكثرة المطالعة حتماً سيكتسبها.

ومن النقاد خاصة المبتدئين والهواة من يرى أن النقد جله تتبع أخطاء الكاتب في النحو والإملاء متلازمة تعاسة الكاتب مع اللغة العربية بتعقيداتها والتي تنفرد بها عن لغات العالم!! فاللغة العربية تتطلب تطويراً ومرونة لاستيعاب الأفكار والمفردات والسهولة في الكتابة ودمجها في البرامج الرقمية بشكل سهل وفعال، وهذا هو السبب الجوهري لانصراف العالم عن جعلها من لغات العلم الحديث.

لذلك أرى أنه قد آن الأوان للتطوير في كل شيء في قواعد اللغة العربية وفي طرق النقد الأدبي ليكون معتمداً على تقنيات البرمجة والذكاء الاصطناعي وهو أمر غاية في الأهمية فهو وسيلة تضمن التحليل الكامل للنص الذي يمكن البناء عليه وتحديد نسب الاقتباس بدقة وهو أيضاً الضمانة الأكيدة للحيادية في النقد البناء والمساواة في فرصه، وضمان الاستفادة من نتائجه في التطوير المستمر.

****

مستقبل الكتاب الورقي.. إلى أين؟!

مع بزوغ شمس العالم الإلكتروني ودخوله في كل ميادين الحياة بخطى ثابتة أصبح الحديث لا يتوقف عن الكتاب الإلكتروني ومدى صلاحيته ليكون خليفة للكتاب الورقي العتيد، وهل هو أهل للاضطلاع بهذه المهمة؟!

وانقسم العالم خاصة العربي بين ثلاثة أقسام: قسم مؤيد للكتاب الورقي منتصراً لبقائه أبد الدهر ومعتبراً الكتاب الإلكتروني فقاعة هوائية مؤقتة لا تلبث أن تزول، وقسم ثانٍ يرى أن الكتاب الإلكتروني هو الأنجع والموائم والمعبر عن صيحة العصر الحديث ومتطلباته، أما القسم الثالث فيرى أنه لا بأس من بقاء الكتاب الورقي والإلكتروني جنباً إلى جنب.

أما القسم الأول المؤيد للكتاب الورقي فتتنوع شرائحه بين أصحاب دور النشر الورقية والذين يمثل لهم الكتاب الورقي مصدر أرزاقهم ولا يمانعون من بيعه إلكترونياً كوسيلة ميسرة للتوزيع ليس إلا، ومن هذا القسم أيضاً الشريحة المتقدمة في العمر والتي عاشت جمّ حياتها لا تعرف للثقافة مصدراً سوى الكتاب الورقي تحتفظ به في مكتبتها المنزلية وتقرأ منه من وقت لآخر مستمتعة بسطوره وملامسة أوراقه وللكتاب الورقي سحر لا شك فيه.

والقسم الثاني المؤيد للكتاب الإلكتروني فتنبع وجهة نظره من أن التقدم قادم لا محالة، وأن نكون في ركابه متقدمي الصفوف خير من أن نلحق به متأخرين أو أن يمضي الركب من سوانا والصحف الورقية وتحول غالبيتها إلى إلكتروني في فترة وجيزة درس عملي للجميع.

أما القسم الثالث الحيادي فهو في غالبيته جمهور القراء خاصة الشباب والذين أصبحت جلّ ثقافتهم إلكترونية فالهاتف المحمول والكمبيوتر اللوحي أصبح لا يخلو منه بيت مصري والشباب الحالي ليس لديه نوستالجيا الكتاب الورقي ولمسات أوراقه وشغف سطوره لذا فالأمر سيان لديه ومع ارتفاع أسعار الكتب وكذلك زيادة كلفة شحنها إلى المدن والأقاليم فهم مع الحالة الأخيرة إلى الإلكتروني أقرب وصلاً.

والحقيقة أننا لو قارنا مزايا الكتاب الإلكتروني منطقياً وعملياً ونظرياً وتطبيقياً لوجدنا أن الكفة تميل في اتجاه الكتاب الإلكتروني فالكتاب الإلكتروني أقل تكلفة في إعداده وتنسيقه ونشره وهناك مواقع إلكترونية مجانية كثيرة تقدم الخدمات الخاصة به بشكل مجاني إضافة إلى وجود مواقع ومكتبات إلكترونية حول العالم تعمل في مجال النشر الذاتي للكتب الإلكترونية بشكل مجاني وتضمن وصوله للملايين حول العالم بما يضمن انتشاره بشكل كبير وفعال علاوة على أنها تمنح الحق للكاتب في تحديد سعر كتابه دون تدخل من أحد مقابل نسبة من مبيعاته وتتنازل عن هذه النسبة إن اختار نشره للجمهور مجاناً.

إذا ما قورن ذلك بالكتاب الورقي؛ فعدد ضئيل من دور النشر هي التي تدعم الكاتب وتوفر له فرص النشر المجاني حالياً، وعادة ما تكون هذه الفرص قاصرة بدور النشر الكبيرة على مشاهير الكتاب لضمان العائد وما سوى ذلك، فالكاتب هو المتحمل لتكلفة نشر كتابه وهي تكلفة ليست بالهينة ويتحكم فيها أسعار الورق والخامات وأغلبها مستورد من الخارج، وإذا أضفنا لذلك ضعف الإقبال على شراء الكتب بشكلٍ عام لارتفاع سعرها وعدم مغامرة القراء لشراء كتب المؤلفين المبتدئين أو متوسطي الشهرة، مما يجعل الكتاب الورقي وصناعته ليست بالخيار الأفضل حظاً للقراء والكتاب على السواء خاصة المبتدئين ومتوسطي الشهرة.

نأتي لأمر آخر.. ألسنا كمؤلفين بشر بالتأكيد نعم.. والبشر يخطئون في التحليل وفي نقل المعلومات وقد تلتبس عليهم أمور عدة وقد تتغير وجهات نظرهم تجاه أمر ما أو قضية ما مع الوقت، بل من منا لم يندم على مؤلف تعجل في نشره دون تدقيق إملائي أو نحوي أو معلوماتي جميعنا في هذه الأمور على مسافة واحدة، فجل من لا يسهو والكمال غاية لا تدرك مما يجعلنا في حاجة دائمة إلى التعديل والتبديل والتصحيح والإضافة والتنقيح وإعادة الصياغة بكتبنا، وكلها أمور مكلفة للغاية مع الكتب الورقية التي تتطلب في كل مرة للتعديل والتصحيح والتنقيح إصدار طبعة جديدة، وهذا لا يكون إلا مع نفاد الطبعة السابقة كاملة، وبتكلفة جديدة. أما في حالة الكتب الإلكترونية فالأمر سهل وميسر حيث تتيح المواقع والمكتبات

الإلكترونية حول العالم للكاتب فرصة التعديل المستمر في مؤلفه دون مشاكل أو عوائق وهي ميزة هامة في مسيرة الكاتب والتطوير في مؤلفاته والارتفاع بها والوصول بها إلى درجة الرضا والقبول من جانبه ومن جانب قرائه.

نأتي إلى مسألة أخرى ألا وهي حقوق الملكية الفكرية والحقيقة أنها مسألة شائكة خاصة في عالمنا العربي، والذي تكثر فيه ظاهرة القص واللصق والاقتباس دون الإشارة إلى المصدر وسرقة الأعمال بالكلية مما يولد خوف لدى الكثير من المؤلفين يجعلهم دائماً في توجس من النشر الإلكتروني الذي قد ينزع عن كتبهم غطاء الحماية الذي يوفره لهم رقم الإيداع بالكتب الورقية..

بالتأكيد هي مسألة هامة والحقيقة أن المكتبات الإلكترونية العالمية أصبحت متيقظة لهذه المسألة، فهي تمنح ترقيماً دولياً مجانياً أو ترقيماً خاصاً بها للكتب المنشورة لديها، بما يحفظ حقوق الكتاب والناشرين لديها بشكل كامل وقانوني.

الأمر الأخير هو ما يعتري البعض من تصور مستقبل قاتم للعالم الرقمي الإلكتروني واندثاره مع الوقت وضياع كل تراثه المعرفي القائم على الحفظ الإلكتروني، وهو في وجهة نظري تصور بائس لا يستقيم مع عجلة دوران التاريخ والنظرة المتفائلة للمستقبل، ذلك أن كل عصر يتسلم الدفة من العصر السابق عليه مضيفاً إليه وحافظاً له قدر المستطاع؛ فالكتب

القديمة وصلت إلينا مع انتشار حركة النسخ في الأمصار وإنشاء المكتبات الكبيرة العامة لحفظها، وكل هذه الإجراءات الورقية لم تمنع من ضياع بعض المصنفات بشكل كامل أو جزئي، فضلاً عن عدم دقة نسبة بعضها لأصحابها وذلك لعوامل عديدة من بينها التقلبات السياسية واحتراق بعض المكتبات أثناء المعارك والغزوات ومع العصر الحديث كان للطباعة دور كبير في حفظ الكتب والمصنفات السابقة واللاحقة، ومع ذلك ضاع الكثير من المؤلفات القيمة بعامل الزمن وإحجام ورثة أصحابها عن الاهتمام بكتب ذويهم أو لأن أصحابها لم يحققوا الشهرة الكافية التي تجعل انتشار كتبهم كبيراً ومتابعهيم كثر، ولولا الرقمنة الحالية لضاع كثير من الكتب القديمة إلى الأبد، والتي قد لا يوجد منها سوى نسخ قليلة عند باعة الكتب القديمة على الأرصفة، أو لدى بعض الهواة، فعادت لها الحياة مرة أخرى مع عصر المكتبات الرقمية المصورة على الإنترنت والتي أتاحتها لجمهور كبير من المتابعين للاستفادة منها.

إنها التكنولوجيا الحديثة المحايدة والشفافة وضرورة أن نمشي في ركابها ونستفيد منها أقصى استفادة.

****

حواري مع حضرة السيد مثقف

لا أعلم سبباً وجيهاً يجعل كل من يشتد عوده في الثقافة ويغدو في ركابها قلماً واعداً ويتبوأ من مناصبها أعلاها يتصور نفسه في عليين، ومن هذه المكانة العليا ينظر لبعض الأمور الدينية شزراً متعالياً عليها وعلى من يصدقها.

الحقيقة أنّني لا أستثني من هذا التعالي أحداً في عصرنا الحالي، وقد صادفت الكثيرين قد مروا به، ومنهم كاتب هذه السطور ولا زلت أتذكر حادثة تركت أثراً عميقاً في نفسي لا يمحى أتذكر تفاصيله كأنه بالأمس القريب حينما كنت أدرس الحدود في معهد للدراسات الإسلامية، وكلما أمر على حدود السرقة والحرابة وانطوائها على تقطيع أجزاء من الجسد كنت لا أستسيغها عقلاً لما فيها من قسوة شديدة، لكنّني كنت أكتم ذلك في نفسي ولا أناقشه علناً؛ خشية التصادم مع المحاضر، وهو شيخ جليل أو مع الزملاء المتدينين.

ومرت الشهور وحانت اللحظة الحاسمة ألا وهي الامتحان وأولها مادة الحدود، وفي الامتحان يكرم المرء أو يهان، وذلك بالطبع تبعاً لاستذكاره دروسه وإلمامه بها، وعلى الرغم من تحصيلي القوي لهذه المادة وتنحيتي

مسألة الاقتناع من عدمه جانباً، إلا أنّي أهنت من طريق آخر لم يخطر لي على بال وما كنت أنكره بالأمس صرت مقتنعاً به وأول مطالبيه.

دائماً ما أذهب إلى الامتحان مبكراً، وهي عادة لدي منذ الصغر فمحافظتي على مواعيدي وحضوري مبكراً فيها جزء لا يتجزأ من شخصيتي، ولأنّ الامتحان هذه المرة في مدينة أخرى بعيدة عن مدينتي التي أقطن بها فقد حضرت مبكراً جداً واخترت القطار لأسافر به.

ما أن ركبت القطار حتى سمعت صوت سيدة: حاسب يا أستاذ خلي بالك من محفظتك!! وفي هذه اللحظة تحسست المحفظة فلم أجدها.. حاولت استعطاف من بالمحطة لمساعدتي وظللت أرقب عشرات من النشالين المقبوض عليهم ومئات الأغراض يُهوى بها على الأرض، وعيناي متلهفتان لعلّي أظفر بمحفظتي المسروقة من بينها، ولكن دون جدوى.. طبعاً مسألة ثقيلة على النفس امتحان بمدينة أخرى وسرقة المحفظة يعني فقد الهوية الشخصية والمال وبعد مسار طويل من عمل محضر بالقسم، ثم عودتي مرة أخرى للبيت لإحضار المال وجواز السفر، نجحت في السفر مسرعاً وأديت الامتحان وأنا متأملٌ فيما مرَّ بي من أحداث عصيبة في هذا اليوم ودعوت على السارق اللعين.

لقد كان درساً واقعياً وعملياً جعلني أراجع نفسي وأكون على يقين من أن جزاء الله وعقابه لبعض الفئات المفسدة في المجتمع حق وعدل.

من الأمور التي كان يتمرد عليها عقلي أيضاً الحديث النبوي الخاص بالذبابة ووقعها في الإناء وضرورة غمسها، ثم إلقائها دون ضرر في ذلك ففي أحد أجنحتها الداء وفي الآخر الشفاء، وكان عقلي يتساءل كيف يجتمع الشفاء مع الضرر وكيف يقترن الداء والدواء في حشرة مضرة ألا ساء قريناً؟!

بحثت كثيراً وكنت لازلت طالباً بكلية الصيدلة، فوجدت عشرات الاستدلالات العلمية وآخرها نظرية تواجد البكتريوفاج أو أكلات البكتريا. لكنها جميعاً لم تفلح في إقناعي بأمر تعافه النفس كهذا.

لكن تمر السنون ومع رحلة التعلم بالصيدلة اكتشفت أن أدوية كثيرة أتت من أشياء بسيطة تعافها النفس، فمثلاً حقن مينوتروفين الشهيرة والتي تستخدم في علاج العقم عند الرجال والنساء عبر توجيه الغدد التناسلية للإباضة مستخلصة من بول النساء بعد سن اليأس!! ومع مزيد من البحث أصبح جلياً أمامي أن الحشرات ومنها الذباب مصدر للمضادات الحيوية ومضادات الميكروبات الببتيدية والتي يعكف العلماء على تطويرها لمواجهة التحديات الخاصة بظاهرة مقاومة المضادات الحيوية..

لقد تعلمت من هذه الدروس وغيرها أن الدين هو الأساس فهو كلام رب العالمين وما بلغه الرسل والأنبياء عنه والذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وما دون ذلك كلها أمور نسبية خاضعة للمراجعة.

ما أحيا بداخلي هذه الذكريات دخولي في جملة من التعليقات على الفيس بوك مع أحد الأصدقاء من المثقفين، والذي يرأس تحرير مجلة شهيرة حول حديث الذباب حيث تهكم الصديق على الحديث على صفحته وأن النفس تعاف الذباب ولو سقط على تيس مندي لذيذ لألقاه.

ليت شعري لقد أعادني تعليقه الساخر إلى ذكريات عشرات الكؤوس من النسكافيه اللذيذة التي سكبتها وأنا أخشى ذبابة مسكينة قد سقطت بها جاهلاً أنها حملت الشر والخير في آنٍ واحد. حاولت إقناع الصديق أننا لسنا بأقل من الجمل الذي يأكل من نبات (شوكة الجمل) المقوية للمناعة وصديقة الكبد دون أن يخشى أذى شوكها وأرفقت عشرات الدراسات التي تتحدث عن استخلاص المضادات الحيوية من الذباب ولكن جهودي ذهبت أدراج الرياح، وانطلقت تعليقات أصدقائه تؤيده فلو أيدوا رأيي فسوف يسحب كبيرهم منهم لقب المثقف!!

ما أعظم الهدي النبوي الشريف في حياتنا وأظن أنه آن الآوان أن يكون للأزهر وغيره من المؤسسات الدينية هيئة خاصة بالإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية، تتابع كل ما هو جديد في الشأن العلمي والذي يعضد هذا الإعجاز وتزخر به الدوريات العلمية العالمية المحايدة إضافة لمراجعة ما هو موجود حالياً من آراء وكتابات ويتناقله الناس وبعضه قديم للغاية قد أكل عليه الدهر وشرب، ولم يعد ملائماً لهذا العصر ومستجداته، علاوة على ضرورة تقوية الأحاديث النبوية من باب

صحة المتن وإن ضعف السند ورفعها إلى مصافي الصحيحة، والتي تتحدث عن الإعجاز النبوي في بعض النباتات والأعشاب الطبية والتي أثبتت الدراسات الحديثة فائدتها، علاوة على ذلك لابد وأن يكون هناك قسمٌ بالكليات والمعاهد الدينية للإعجاز العلمي بالقرآن والسنة يقوم بالتدريس للطلبة وفي مسار الدراسات العليا أيضاً.

****

منظومة في غرفة الإنعاش

إنها منظومة الصحة في مصر وفي عدد من البلدان العربية..
منظومة مفترض أن تعتني بصحة المواطنين وتخفف من وطأة أمراضهم فإذا هي تئن من أمراضها إن لم تكن على شفا جرفٍ هارٍ من السقوط والانهيار!
وأعظم أمراض المنظومة الصحية المتصلة بغياب الضمير والوازع الأخلاقي.
لقد شاء الله أن يكون القاضي والطبيب مؤتمنين على الإنسان أعظم مخلوقات الله؛ فالقاضي منحه الله شريعة ومنهاجاً يحدد بها مصير إنسان موتاً وحياةً، حريةً وسجناً، وكذلك الحال بالنسبة للطبيب الذي وهبه الله العلم الذي يعالج به مرضاه ويخفف من آلامهم، ويحدد الطرق العلاجية المناسبة لذلك بوازع من ضمير.
لقد اتفقت الجمعيات والهيئات الصحية حول العالم إلى وضع بروتوكولات علاجية بمعايير محددة تتباين في نقاط وتتفق في أخرى ويتم تحديثها بشكل مستمر لضمان فاعلية الخطة العلاجية ولمحاسبة الطبيب إن حاد عن خطها المرسوم، ولكن في البلاد النامية ودول العالم الثالث لا رقيب على الطبيب سوى ضميره، فلا محاسبة ولا رقابة والكل يعالج باجتهاده الشخصي وقناعاته وإن ولى زمانها.. والضحية المريض أولاً وأخيراً والقبور

من شيمها الكتمان تحمل ضحايا الأخطاء الطبية في صمت مطبق وتحت جنح الظلام!

الممارسات اليومية للسادة الأطباء تحتاج لمراجعة شاملة فالعيادات الخاصة ضرب من الفوضى العلاجية، وينبغي أن تكون جزءاً من كيان مؤسسي هو المستشفيات والمستوصفات، وتحت مظلة تأمين صحي شامل يكفل للمرضى ـعلى اختلاف درجاتهمـ فرصاً متساوية من العلاج وهو حق مشروع وواجب على الدول لا تفضلاً منها.

إلغاء تراخيص العيادات الخاصة ليس فقط وسيلة للمراقبة وضبط الأداء الطبي، بل أيضاً وسيلة للحيلولة دون ظاهرة الرشوة الطبية التي تقدم في شكل أموال سائلة أو قسائم شرائية أو هدايا عينية أو رحلات خارجية تقدم من شركات الأدوية المختلفة للأطباء مقابل كتابة أصناف دوائية بعينها يثقل بها الطبيب كاهل المريض المسكين، وقد يحتاجها فعلياً في علاجه ويوجد منها بدائل أقل ثمناً، وقد تكون زائدة عن حاجته لتحقيق المكاسب لشركات الأدوية لذا فالتحول من العيادات الخاصة للمستشفيات والمراكز والمستوصفات يضمن تقيّد الطبيب بالاسم العلمي عند كتابة الدواء، وذلك في حالة تبني وزارة الصحة لهذا المسعى المهم وتثقيف المريض حول أن لكل مادة فعالة أسماء تجارية عدة جميعها على نفس الكفاءة العلاجية، وعليه اختيار ما يناسب قدرته المادية كما أنه يضمن منع زيارة

مندوبي الدعاية الطبية للأطباء، وقصر زياراتهم على المستودعات الدوائية الملحقة بالمستشفيات والمراكز الصحية والمستوصفات لضمان الشفافية..

أما الصورة الحالية، فلا علاج لها سوى البتر الكامل اتفاقيات بين الأطباء في عياداتهم الخاصة مع بعض المعامل لإجراء التحاليل الخاصة بالمرضى ومع بعض الصيدليات لصرف علاجات معينة قد لا تتوافر سوى بهذه الصيدليات نظير نسبة أو مبلغ مادي محدد مسبقاً يجنيه الطبيب مقابل كل مريض يذهب للمعمل أو الصيدلية موضع الاتفاق، والطريف هو تعمد بعض الأطباء كتابة الروشتة الطبية بخط أشبه بالشيفرة لا يفهمها إلا الصيدلي بالصيدلية الموجه إليها المريض فقط..

عرفت مندوبين يقدمون خدمات للأطباء غاية في التدني، كتغيير أسطوانة غاز منزلية لأحدهم وتوصيلهم للأسواق بسياراتهم أو إصلاح دراجة لابن أحدهم وهم مسرورون يضحكون ولا يبكون ولا يستحون مما وصلوا إليه من مهانة.

حالة مزرية لا تنم سوى على انهيار منظومة الأخلاق.. بالطبع المستشفيات والمراكز الصحية والمستوصفات ليست واحات ظليلة للأخلاق والقيم فاللا مبالاة والهدر والمعاملة السيئة والروتين البغيض لصيق بها وبمناسبة الروتين لازلت أتذكر رجلاً مقطوع الساقين كان ينزل ويطلع الدرج زحفاً على بطنه من أجل إنهاء معاملاته داخل مؤسسة صحية!

ويا ويلي على مريض الأورام الذي بينه وبين الموت أيام عافاهم الله، فعليه أن أن يقضي هذه الأيام بين اللجان الطبية للحصول على الموافقات الروتينية على جلساته ولتذليلها لابد من دفع الثمن، والثمن هو مراجعة أطباء الأورام في هذه اللجان في عياداتهم الخاصة وإلى الله المشتكى، ناهيكم عن أطباء الجراحة والنساء والولادة، حيث يتفقون مع المرضى على مبالغ خارج مظلة التأمين، تحت عنوان حضرة الدكتور الكبير ذائع الصيت الذي لا يلائمه ملاليم التأمين الصحي!! طبعاً هذا الحال في المستشفيات العامة أما المستشفيات الخاصة، فجلَّ همهم هو تحصيل مبالغ طائلة من المرضى نظير خدمات متواضعة وأحياناً وهمية، وقد يدخل المريض باشتباه جلطة ليصاب داخل العناية المركزة لديهم بعد اليوم التاسع بكوفيد 19 كما حدث مع والدة صديق لي!

ولكن على كل حال يمكن ـفي ضوء كون المستشفى أو المستوصف أو المركز الصحي كياناً تنظيمياًـ البناء عليه وضبطه وجعله نقطة الانطلاق نحو التحكم في سلوك الأطقم الطبية الأخلاقي بداخله إن لم يكن الآن فمستقبلاً، وذلك يتحقق مع الرقابة من جانب الوزارات المعنية وتطبيق الثواب على الملتزم والعقاب على الجانح والخارق لآداب مهنته وأخلاقياتها.

من الضيم أن نحمل الطبيب وحده مسألة انهيار بنيان الأخلاق داخل القطاع الصحي؛ فالتمريض أيضاً شريك. لك أن تتخيل يا عزيزي المئات

من شركات التمريض في ربوع مصر تقدم خدمات منزلية بأسعار خيالية مستثمرين في ذلك ظروف جائحة كوفيد **19** وعدم توافرة أسرة بالعناية المركزة بالمستشفيات ولجوء بعض الأسر للعناية التمريضية لذويهم كبديل عن الرعاية الطبية المتكاملة بالمستشفيات وما باليد حيلة!

لكن السؤال إذا حدث مكروه للمريض أو خطأ تمريضي في المعالجة على من تقع المسؤولية؟! الإجابة يا سادة تحملها قبور الكثير من الموتى.

حينما مرضت والدتي مرضها الأخير كانت تحتاج لرعاية تمريضية بشكل مستمر؛ فكانت الممرضة تفاوضني لأعلى سعر مقابل البقاء إلى جانبها ساعتين باليوم، فالعشر دقائق تحصل فيها على **250** جنيه، ورعاية مريض كوفيد **19** ساعة باليوم نظير ألف جنيه وهكذا...

دقائق من المفاوضات كأني أفاوض راقصة وليست ملاك الرحمة كما كنا نراها في الأفلام العربية الأبيض والأسود قديماً.

ونأتي إلى الصيدلي صاحب المهنة البائسة والتعيسة، فنجد محاربة بين الصيادلة على الخصومات التي تُعطى للمرضى على الدواء وكأنها الجريمة الكبرى.. تصور محاربة الشكل الأخلاقي الوحيد في هذه المهنة حتى وإن جاء في ثياب الدعاية لكن طالما يخدم المريض فلمَ لا؟!

اقتصاديات الصيدليات وانخفاض دخلها أحد أهم أسباب العبث في الحماية الدوائية للمريض، فتجد صيدليات تحجب الدواء عن المريض إن اشتمت

قلة توافره في باقي الصيدليات طمعاً في بيعه بسعر أعلى أو ضمن وصفة طبية كبيرة، أو أنه على قائمة الأدوية المرشحة لزيادة سعره، فتغفله طمعاً في زيادة الربح وحياة المريض المعلقة بالدواء تأتي في المراتب الأخيرة..

نأتي إلى ما يمكن تسميته جائحة الفوضى في مصر وهو مجال العلاج الطبيعي، وممارسته للطب دون مسوغ علمي فعيادات ومراكز العلاج الطبيعي والتغذية والتخسيس التي يديرها اختصاصيو العلاج الطبيعي ينبغي إغلاقها فوراً والتوقف عن هذا العبث إن أردنا لمنظومة الصحة في مصر وغيرها من بلدان العالم العربي فلاحاً فالاتجار في الأدوية المهربة ومجهولة المصدر وانتحال صفة الأطباء في التشخيص وكتابة العلاج هو كارثة بكل المقاييس داخل هذه العيادات والمراكز.

العودة إلى مفهوم المستشفى والمركز والمستوصف كبنية صحية متكاملة من التخصصات وتحت مظلة تأمين صحي شامل لا يفرق بين أحد والتدريب المستمر لأعضاء القطاع الصحي والتثقيف الصحي للمرضى وذويهم كل هذه معاول للبناء إن أردنا مواطناً متعافياً مشاركاً في بناء بلاده وحضارتها وتطورها..

****

كلمة أخيرة

اتسعت في الآونة الأخيرة أزمات الصيادلة بشكل كبير وأصبحت تتصدرها مؤخراً أزمة تكليف الصيادلة دفعات **2018** و**2019** وممارسة ضغوط على وزارة الصحة لتعيين الدفعتين بشكل كامل، وهو حق مشروع للصيادلة ما دامت الوزارة قد كلفت البعض من الدفعتين.. يبقى السؤال ماذا لو لم تكلف الوزارة باقي الصيادلة من الدفعتين؟! وماذا لو أصبح هذا الوضع هو الشغل الشاغل للدفعات القادمة **2020** و**2021** وهكذا؟! بالتأكيد ستصبح مسألة مستعصية على الحل، وقد يدفع الحكومة إلى الإعلان عن إلغاء التكليف للصيادلة بشكل كامل والاستعاضة عن هذا النظام بالعقود المؤقتة حسب الاحتياج ويفتح الطلب في عام ويغلق لأعوام، لذلك لابد من قراءة المشهد الحالي بذهن عاقل والبحث عن حلول واقعية توسع مجالات العمل وفي الوقت ذاته تخلقُ صيدلياً كفئاً قادراً على المنافسة.

أقترح منها:

1-التوسع في المجالات الصيدلانية ووضع التشريعات التي تضع للصيادلة حقوقاً حصرية في بعض المجالات كالدعاية الطبية والتصنيع الدوائي وأن تصبح هذه المجالات قاصرة على الصيدلة بالقانون خاصة وأن معظم المواد

المؤهلة للتصنيع يدرسها طلبة الصيدلة مع وجوب إضافة الدعاية الطبية لتصبح مادة دراسية بكليات الصيدلة.

من المجالات الأخرى الصيدلة الخضراء والتي لابد وأن تحل محل محلات العطارة التي تغزو أنحاء مصر دون ضابط أو رابط والأعشاب الطبية تماماً كالدواء في سُمّيتها وضرورة تقدير جرعتها بشكل صحيح ومنضبط.

مجال التغذية العلاجية هو الآخر مجال دخله الصيادلة مؤخراً ولابد من تشريعات قانونية تحدد عمل الصيادلة به، ولابد أيضاً من قسم للتغذية العلاجية بكليات الصيدلة منفصل عن الكيمياء الحيوية لضمان جودة تعليم الطالب الصيدلي وإلمامه الكامل باحتياجات هذا المجال.

2-تطوير التعليم الصيدلي بكليات الصيدلية وفق آليات محددة فليس من المقبول أن يكون التعليم الإكلينيكي لطالب الصيدلة قاصراً على القادرين على الدفع المالي للتعليم المميز والدبلومات، بل لابد وأن يكون التعليم الصيدلي منذ البداية محدداً لهدف الخريج بين أن يكون صيدليَ تصنيع أو صيدلي مجتمع أو صيدلي مستشفى، وهكذا فيصبح التعليم موجهاً ومفيداً للصيادلة كلٍ وفق وجهته وتخصصه المستقبلي الذي يطمح إليه وليس تعليماً مشتتاً، فتجد صيدلياً مجتمعياً يتساءل لماذا درس خمس سنوات كيمياء عضوية وتحليلية ويكون مكانه صيدلية مجتمعية يفتح فيها نشرة الدواء ليجيب عن أسئلة المرضى!! فالأولى كان أن يدرس دراسة إكلينيكية

في هذه السنوات الخمس ومهارات التعامل مع المرضى والأدوية اللاوصفية المصرح له بصرفها. فالتعليم الموجه والمتخصص لابد وأن يكون على قائمة الحلول للنهوض بمهنة أصبحت مريضة ليس في مصر وحدها، بل بدول عربية أخرى كثيرة.

إضافة لذلك هناك مواد دراسية لابد وأن تكون من محاور الدراسة الصيدلانية، مثل مكافحة العدوى والجودة والمعلوماتية الصحية واليقظة الدوائية وإدارة الأعمال وإضافة هذه المواد للمناهج الدراسية وإنشاء دبلومات ودرجات ماجستير ودكتوراه بكليات الصيدلة من شأنه أن يعلي من رصيد الصيدلي ويثقل من مهاراته ويضعه على ساحة سوق العمل حكومياً كان أو خاصاً بشكل قوي وهادف.

3-إلغاء النقابات ففلسفتها ولت وانقرضت فهي فكرة ولدت مع الاشتراكية والدفاع عن حقوق العمالة الوطنية أثناء الاحتلال وبعده، ومع رحيل الاحتلال وانقراض الاشتراكية أصبحت مرتعاً للتيارات الدينية ومسرحاً للمعارك السياسية والحزبية، وبين الأمس واليوم ضاعت ملامح العمل النقابي ولم تثمر النقابات عن انتصار واحد لحقوق الفئات التي من المفترض أنها تدافع عنها، وغاصت أرجلها أكثر وأكثر بين العمل الارتجالي والصراعات والاتهامات المتبادلة والبعد عن العمل التنظيمي والمؤسسي المهني، ولقد ضربت النقابة العامة للصيادلة المثل والحجة في غياب المهنية

وتغليب المنفعة العامة لمنتسبيها على الخلافات الشخصية وأدى الصراع والشقاق بين مجلسها إلى فرض الحراسة عليها في النهاية. لذا فالنقابات هي جزء من تاريخ آن له أن يمضي ويوضع بين دفتي كتبه للدروس والعبر.

يقال أن مخترع الحقنة الشرجية لعلاج الإمساك تأثر بطائر أبو قردان الذي كان يجمع الماء بفمه، ثم يضعه في مؤخرته. إذاً من الطبيعة استلهمنا اختراع الدواء فلمَ لا نستفيد من التاريخ؟!

ولو كنا نتعلم من التاريخ حقاً لما أحيينا فكرة نقابة للصيادلة في الأربعينيات والستينيات، وقد أثبتت فشلها في عهد الملك فؤاد مع أول محاولة لجمع أصحاب الصيدليات برئاسة المسيو هيبير.

أرى أن الانتفاع بمقرات هذه النقابات العامة والفرعية منها وتحويلها لخدمة التعليم الصيدلي المستمر هو أمر نافع وأن الأجدى هو إنشاء هيئة للتخصصات الصحية والتعليم المستمر بشكل مستقل أو بالتبعية لوزارة الصحة لتحل محل النقابات ويكون مهمتها الارتقاء بمهارات الصيدلي وتطوير الجانب المعرفي والعلمي لديه ومراقبة تراخيص مزاولة المهنة.

التعليم الموجه المتخصص واستمراره هو الحل.

4-تشجيع فكرة السلاسل الصيدلانية الشبابية بالقرى والمراكز والمدن ورعاية الدولة، لذلك وتخصيص قروض ميسرة لشباب الصيادلة للقيام بهذه الفكرة وتشجيع التأمين الصحي الشامل للتعاقد معهم فمثلاً بقرية ما

خمس صيدليات لا يفصلها سوى بضعة أمتار وتقدم نفس الشكل البدائي من الخدمة للجمهور. ماذا لو اندمجت هذه الصيدليات في شكل مؤسسة واحدة ولها نظام إلكتروني مرتبط بعيادات الأطباء في المنطقة؟! فترسل الروشتة إلكترونياً ويتم مراجعتها من قبل الصيدلي ووضع ملصقات بالجرعات ومدة العلاج إلكترونياً على علب الدواء ويحكم هذه الصيدليات نظام محاسبي وشكل تنظيمي من حيث وجود مدير للصيدلية على مدار الساعة وصيادلة بوظائف ومسؤوليات محددة، ولهم زي رسمي خاص وكروت وظيفية بالاسم والمهنة فمن حق المريض أن يعرف مع من يتعامل.. المؤسسية والتنظيم هما الحل.

5-إلغاء عهدة الصيدلي في العمل الحكومي أو الخاص ذلك الحمل الثقيل الذي يحمله الصيدلي فوق ظهره والبديل هو انتقال هذه العهد لمحاسبين داخل الصيدليات أو وضع كاميرات داخل الصيدليات لمراقبة عمليات الصرف هذا الفصل بين الصيدلي والعهدة يخلق له متنفساً للتطوير والتماس السبل نحو التعليم المستمر في تخصصه.

6-إعادة معاهد فنيّ الصيدلة للحياة، وتخريج دفعات منهم، وتفعيل دورهم في مساعدة الصيادلة؛ فلا يمكن قبول أن يكون مساعدو الصيدلة من مهنٍ أدبيةٍ وحرفيةٍ، يكتسبون المعرفة بالممارسة، ثم ينافسون أصحاب المهنة من الصيادلة في أرزاقهم دون دراسة، فهذا من ضروب

العبث، وخلق بيئة صيدلانية متكاملة داخل الصيدليات هو عنوان لإعادة احترام وتقديس وتقدير لمهنة إنسانية أمام المجتمع بأسره.

إذاً الحل في الإصلاح الصيدلي يكمن في السعي إلى تشريعات تحدد مهام الصيدلي بوضوح وتخصصاته الحصري منها والمشارك فيها مع المنظومات الأخرى فضلاً عن التعليم الملامس لاحتياجات المجتمع ضمن استراتيجية مكتملة.

****

حالة اللا أدب

ما إن نتحدث عن مصطلح الأدب النظيف حتى تجد الارتيكاريا قد تملكت عدداً كبيراً من أعضاء الوسط الأدبي الحالي.

فالأدب النظيف يعني رسالة قيمية وأخلاقية هدفها غرس القيم والأخلاق في المجتمع وهذا في زعمهم يتناقض مع مهمة الأدب وسقفه الحر.

الحقيقة أنهم لا يكتفون بالدفاع عن الليبرالية في الأدب وعدم وجود خطوط حمراء في موضوعاته أو ألفاظه، بل يتعدون ذلك للسخرية من الأدب النظيف وهدفه الوعظي الذي افتخر بالدعوة له.

ومن بين عناصر الأدب لديهم دقة الوصف وهو من أدوات الأديب الحاذق لا شك في ذلك، لكن حينما يقترب الوصف من رسم العلاقة الحميمية بين الأحباء بدقة متناهية وبأسماء الأعضاء الجنسية، بل ويتباهى أحدهم بأن الأديب الماهر هو من يستطيع أن يصف مؤخرة جدته ببراعة! هنا نتحول من الأدب إلى انعدام الأدب ونخرج من حيز المنطق والاتزان إلى الفوضى الفكرية وغياب الوعي.

وكذلك حينما يتعلق الأمر بالتعدي على الذات الإلهية يتحول الأدب إلى حالة اللا أدب.

وأوجز في عدة نقاط بعض رسائل الأدب الحالية في أدب البعض إن صح تسميته بالأدب وأختصرها في الآتي:

1-السخرية من الدين ورجاله: ذلك بالتقليل من دوره في المجتمعات المعاصرة وتصوير المتدينين دائماً بالعنف والقسوة والإرهاب أحياناً، وهو أمر يتناقض مع اختلاف البشر وتوجهاتهم في الحياة بين صالح وطالح علاوة على النيل من الأئمة وتسفيه الآراء الفقهية.

نملك أن نختلف أو نتفق مع الاجتهادات الفقهية وهي مسألة مقبولة والاختلاف في العموم مظهر صحي وأدب الحوار من مكارم الأخلاق لكن الحط من قدر العلماء وتسخيفهم في نظر العامة والدعوة للجرأة عليهم تنقل الأدب إلى انعدام الأدب، فالدين علم كسائر العلوم له ضوابطه ورجاله ومختصوه.

2-الدعوة للتطبيع مع الكيان الصهيوني الغاصب: كلمة تداعب مشاعر الجوائز الأجنبية حول العالم، وتصعد الكتاب العرب للمراكز الأولى فيها.

وهناك الكثير من الكتاب العرب قد لبوا دعوات هذا الاتجاه مهرولين إليه ولكن هل هذا الفعل أخلاقي؟

في هذا الوقت لا بالطبع. فالدماء الذكية قد أريقت والمقدسات انتهكت والهزائم توالت ولا سبيل للتراجع، انتهى الوقت والتطبيع هنا انكسار.. في الماضي ومع نشوب الأزمة الفلسطينية الإسرائيلية في الثلاثينيات

والأربعينيات كان ممكناً احتواء الأزمة عبر النظرة الموضوعية والعقلانية لحقوق الأقليات داخل الدول العربية على اختلاف طوائفهم وأجناسهم كالإسرائيليين والأكراد والأمازيغ والأقباط والدروز، وغيرهم، والمبادرة بعد زوال الاحتلال لمنحهم حقهم في الاستقلال الجزئي والكلي داخل مساحات من الأراضي المخصصة لذلك، وما أكثر الأراضي لدى العرب وما أقل استغلالها. كان يمكن بذلك تجنيب منطقتنا العربية ويلات الكثير من الحروب والصراعات المنهكة والتي لا طائل منها خاصة وأن مسألة الحدود الوطنية مستحدثة على منطقتنا العربية، والأصل أننا شعوب واحدة تجمعنا حضارات مشتركة لا مكان فيها للصراعات على الأرض والأرض تسع الجميع مع حقوق متساوية لا تعرف للعنصرية على أساس اللون والدين والعرق سبيلاً..

3- الترويج للشذوذ الجنسي وحرية الشواذ: وهي من الرسائل الفاسدة والمبتذلة في الأدب والتي تخرجه لدائرة اللا أدب واللا ثقافة على الإطلاق فالشذوذ دينياً وطبياً وأخلاقياً ونفسياً، منهيٌ عنه لمضاره ولمخالفته للفطرة السوية.. نعم نبه يا عزيزي الأديب للأمر الفاسد في المجتمع مع التأكيد على فساده وليس تزيينه في عقول الناس ولا تترك الداء دون أن تنبه إلى عواقبه، ودون أن تنبه للدواء وهو العودة إلى الله وترك المنكرات والإقلاع

عنها فوراً وهي النهاية الضرورية إن أردت أن يكون أدبك حقاً أدباً شريفاً وخلاقاً.

في الماضي كنت أستغرب دعوة الدين إلى التعوذ من العلم الذي لا ينفع وكنت أسأل نفسي وغيري عن معنى هذا المصطلح؟! فالعقل والمنطق يقولان أن العلوم كلها نافعة ولكن مع الوقت ومع تقدم العمر وجدت أنّ قراءتي لحظك اليوم الذي كنت مدمناً عليه علمٌ لا ينفع فهل الأجرام السماوية تملك من أمرها شيئاً أو تعرف عن مصيرها شيئاً؟! وهي تنفجر وتتصادم من وقت لآخر حتى تنتشلني أنا الإنسان المسكين المهموم بمشاكل الحياة من مصير قادم أو قائم.. إذاً علاقة حياة الإنسان يومه وغده بحركة الأجرام السماوية علمٌ واهٍ ولا يجدي نفعاً.

ومع دخولي إلى معترك الكتابة، وجدت أن الرواية كاستعراض للعضلات في السرد الممل وإحياء المصطلحات المهجورة في اللغة العربية أمر يمكن التغاضي عنه إلى حدٍ ما، ولكن حينما يستفيض في وصف العلاقات الجنسية والشذوذ فهو أمر مستهجن ومعه يصبح هذا النوع من الروايات علماً ضاراً.. وكذلك الحال فيما يخص الشعر المثير للغرائز.

4-التغني بتعدد الآلهة: منذ سنوات كنت أدرس في محفل للدراسات الإسلامية وكان من ضمن المواد المقررة مادة تتحدث عن مسار التشريعات والقوانين القديمة، وكان أستاذ المادة رحمه الله قامة قانونية ودستورية

كبيرة بلا شك، لكن كان متيماً بالاستشهاد بأقوال تتحدث بلسان الآلهة المتعددة، فجاء كتابه الدراسي حافلاً بها وكان الزملاء من الأزهريين يتعوذون من الله وهم يذاكرون هذه المادة، ولهم كل الحق لكن الامتحان لا يعرف الرفض.

الحقيقة أن استشراء أمر الإشارة لتعدد الآلهة سواء أكان من قبيل المباهاة بتراث الأجداد وحضارتهم ضمن الإطار العلمي أو من قبيل التندر بآلهة للتحرش والمسخرة!! وانتقال ذلك للمؤلفات الأدبية لهو من الأمور المؤسفة.

إن مضمون الشيء هو ما يصنع أهميته وبقاءَه على المدى الطويل ومدى استفادتنا منه على الوجه الصحيح هو ما يبقيه حياً ومتجدداً في نفوس الناس وراسخاً في عقولهم؛ فقديماً في الحضارات القديمة كانت الملاحم ناقلة لتجارب الناس وسعيهم لمعرفة الله، فشاءت الأقدار أن تبقى هذه الملاحم لا ليستعرض الجهلاء تعدد الآلهة فيها ويتغنون به الآن ولكن ليعرف الإنسان المعاصر قيمة التوحيد لله، وأنه لو كان هناك آلهة غير الله لتصارعوا وتلاعبوا بمصيره وفسدت الأرض واختل نظمها المحكم وهو ما تشهد عليه هذه الملاحم بجلاء.

5-التعرض لصفات الله بالبطلان والاستهزاء:

فتجد أدباء يوضعون في مصافي العظمة بجوائزهم العالمية وتُسمى المدارس الأدبية بأسمائهم والاقتراب من أدبهم جريمة لا تغتفر حيث ينبري

بهاليلُهم في الدفاع عنهم لآخر قطرة.. هؤلاء الأدباء إن جاز تسميتهم بالأدباء لا يتورعون عن اتهام الله بالظلم على ألسنة أبطال رواياتهم فهو تارك للمستضعفين والفقراء دون حماية أو اتهامه بالغفلة وسوء التقدير فيما يتعلق بترك المتجبرين دون ردع أو عقاب، بل والسرقة أيضاً في رواية أحدهم إذ سرق من ضلع آدم ليخلق حواء؟!

هراء ليس بعده هراء، فهل هذا هو الأدب المطلوب من الناس تصديقه وتناوله بالشغف والاحترام واعتباره من القيم الأدبية الإنسانية الخلاقة؟!

6-عوالم الجن والشياطين والسحر: إنه أدب الخرافات والبحث في الغيبيات لكن يحلو للبعض تسميته بأدب الرعب والفنتازيا والحقيقة أنه يبقى أمراً لا فائدة للقارئ منه سوى متعة وقتية لبضع ساعات يقضيها مع الرواية تؤثر في نفسه فيبحث عن كتب للسحر وتحضير الجان وقد أقبرتها الأمم وقد تسلبه هذه الروايات نومه فيصبح مع كثرة قراءتها أسيراً للقلق والاضطراب مما يؤثر على صحته النفسية والجسدية.

7-الدعوة إلى الإلحاد: وما أكثر الروايات التي تدعو للإلحاد في ظاهرها وباطنها وما بين سطورها، فالله لدى البعض فكرة كانت تحتاجها القبائل البدائية لأنها لم يكن لديها الأدوات التي تتصدى فيها لقوى الطبيعة فتطوعها وأنّ الجنةَ والنارَ قائمتان داخل نفوسنا لا مكان لهما في الكون وأن

العبرة بما نراه نصب أعيننا لا ما تتحدث عنه كتب سماوية لا ندري مدى صدقها ولم نشهد نزولها!!

مسائل لا يمل أصحابها من ترديدها جيلاً بعد جيلٍ تحت مسمى العلمانية المعاصرة والحداثة والتقدمية، وإضلال الشباب في مقتبل عمرهم بها والرد عليهم بسيط، فهل طوعت الطبيعة يا حضرة العلماني التقدمي المعاصر المثقف فلم تعد في حاجة إلى الله؟! ألا ترى الرياح والأعاصير إلى اليوم تزيل مدناً بأكملها، والبشر عاجزون أمامها وأغلبها بدول متقدمة تصدر إليك التكنولوجيا، ومنها جوالك الذي تكتب عليه هذه المهاترات؟!

وهل شاهدت أياً من القوى الكونية الأربعة المسيطرة، وأمسكت بها بين يديك وعلى رأسها الجاذبية والتي ترى تأثيراتها في التطبيقات الفيزيائية من حولك؟!

ماذا تريد هذه الروايات غير تحييد الدين وتغييبه عن التأثير في واقعنا الحالي... هذه ليست دعوة مني لأسلمة المجتمع ويا ليت الإسلام يسود ولكن آمن يا عزيزي العلماني بأي دين سماوي شئت... آمن بالدين باعتباره الموروث الثقافي الحافل بمكارم الأخلاق والقيم الإنسانية التي تستطيع أن تتعايش بها داخل المجتمعات بأخلاق.

8-قواميس الشتائم والسباب: مؤخراً قرأت أجزاء من رواية لكاتب شهير حمل غلاف الرواية قدميّ امرأة! والرواية رشحت لجائزة كبيرة وللأسف

هالني كل هذا الكم من السباب والشتائم السوقية التي تحفل بها صفحات الرواية وكأنه طفح للمجاري تجسد في صورة ورق عليه حبر.. الغريب أن صاحب الرواية محسوب على الفئات الملهمة للشباب كصاحب قضية ورأي ورسالة.. أية قضية وأي رأي ورسالة مع هذا الابتذال لا أدري..!

في النهاية ماذا جنينا من كل هذه الصور الثمانية التي أسلفناها وتحفل بها كتب الأدب؟! غير انتشار الجرائم وفساد الأخلاق والابتذال والحروب وانتشار العنف والخرافة وغياب التراحم داخل المجتمع.

لذا لا غرو أن نجد لذلك أيضاً انعكاساً على العلاقة بين الأدباء المعاصرين وقد غابت الأخلاق في التعاملات بينهم.. لقد تناولت في كتابي صفحات من التاريخ الأخلاقي بمصر جزءاً من هذه المسألة في الماضي لكن الحاضر يحمل لنا صوراً أكثر بؤساً وأعظم مرارة، فالنقد بين الأدباء لا يلبث أن يتحول إلى سب ولعان فاحش من مستصغر الشرر وعلى أمور ليست بالجوهرية.

وأغلب الخلافات عنوانها الاقتباس والاقتباس من الفكرة والبناء عليها وتطويرها ليس عيباً، ولو كان من فيلم وثائقي أو مسلسل أو من التراث فالاستلهام ليس عيباً، والروايات ليست خرقاً للطبيعة أو اختراعات مذهلة لها ملكية فكرية، فالأفكار في غالبيتها أصبحت مستهلكة ومتكررة حول العالم شرقاً وغرباً والتشابه بينها مسألة متوقعة تماماً كالألحان الموسيقية غير أنه من المستحسن الإشارة إلى مراجع لأفكار

الرواية إبراءً للذمة وإراحةً للبعض. أما الاقتباس الحرفي وبحدود معينة دون ذكر المصدر، فهو سرقة أدبية لا خلاف في ذلك...

لذلك وجود آلية إلكترونية للكشف عن السرقات في المؤلفات العربية وإن كانت مسألة صعبة التحقيق لعوامل كثيرة من أهمها غموض اللغة العربية في بعض تراكيبها وسهولة التخفي من خلال استبدال بعض الكلمات الدارجة في النص الأصلي بكلمات نادرة الاستعمال أو ذات معانٍ شتى في النص المقتبس عنه، مما يربك البرنامج الإلكتروني، فلا يستطيع كشف الاقتباس بدقة وكذلك عدم إتاحة المؤلفات العربية بشكل كامل أو جزئي على المواقع الإلكترونية، مما يسهل على البرامج تتبع السرقات الأدبية بين المؤلفات المختلفة ومضاهاتها وتحديد مواضع الاقتباس ونسبته وتواريخ النشر الأسبق والأحدث منها.

تفعيل دور التكنولوجيا في حياتنا يسهل الكثير من الأمور فضلاً عن أهمية الترفع عن صغائر الأمور وسفاسفها في النقاش والانتصار لفكرة النقد الأدبي كعلم وليس خناقة على مقهى شعبي!!

****

كشف ستر النفوس وخيانة المجالس

إنّه لمن الجليّ أنّ وسائل التواصل الاجتماعي مثل الفيس بوك وتويتر قد قدمت خدمة جليلة للبشرية بتحقيق التقارب بين الناس والاستفادة من الخبرات والتجارب المختلفة للبشرية جميعاً حول العالم.

لكنها الحقيقة أظهرت جوانب خفية وسيئة لدى الكثيرين مثل الرغبة في التشهير بالناس، وشهوة استغلال ضعفهم في محادثاتهم الخاصة وابتزازهم وهي من الأمور المؤسفة التي صارت تغزو المجتمع خاصة بين أوساط المراهقين، ففضح الناس وتعرية نفوسهم قبل أجسادهم ليست بالأمر الهين وربما أودت بهم إلى مشاكل نفسية عديدة قد تدفعهم إلى الانتحار هرباً من مواجهة المجتمع.

من أكثر ما أكرهه تصوير أحاديث الغير على الخاص سواء أكانت تحمل كلاماً عادياً أو خاصاً أو شديد الحساسية، فالجميع سيان فكلها خيانات للأمانة.

في الماضي كان تسريب أحاديث الناس عن طريق شهادات من بعض معاصريهم وزملائهم وأصدقائهم، وللأسف كان الصراع بين بعض الأدباء في الماضي مؤسفاً، فكان النقل بين المجالس وفضح بعضهم لبعض إلى حد حديث أحد الأدباء الكبار ممن صالوا وجالوا في المعترك الإسلامي وفي

تكذيب القرآن، والشعر الجاهلي أيضاً زعم أن لأديب عملاق في أدبه وفي حجمه وفي لغته المقعرة أيضاً ابنة غير شرعية من خادمة له وانتحرت يوم وفاته حينما أنكروا نسبها وأسر ذلك لكاتبه فنشرها على الملأ في كتاب.

-زعيم كبير خاض ثورة التف حوله الشعب قرر أن يكشف ستر نفسه من كونه مقامراً وأضاع ثروته في ذلك وهذا حقه في فضح ذاته لكن حينما يتهم أحد السياسيين وكان على رأس وزارة دينية بارزة بالشذوذ دون بينة فهذا من عظائم الأمور، ولو اُستغني عن هذه الطريقة في الصراع السياسي لكان أفضل!

أنا لست ضد المذكرات التي يتحدث فيها الفرد عن خطاياه بقصد محاسبة الذات لكن ليس لدرجة الفضائح الشخصية وأسلوب جلد الذات وهو طريق لن يجني منه شيئاً، والأولى أن يتوب إلى الله.

-أستاذ جامعي حاصل على عدد من درجات الدكتوراه في زمنٍ قلّما كان هذا متاحاً أنفق جل وقته في مناكفة زملائه من الأساتذة واتهامهم بالسرقة الأدبية والجهل حتى انتهى به الحال مفصولاً من الجامعة، وقضى باقي عمره مدمناً على الخمور لتعينه على نسيان عدم الوفاء من جانب زملائه!!

الطريف أنه حينما تحدث عن الزعيم الذي أشرنا إليه آنفاً، تحدث عن غرامياته وحبه الأول، وكان لازال أزهرياً قبل تحوله لليبرالية لاحقاً ورفض أسرتها له فلما حملته الثورة على أكتافها خلع بيده اللثام عن كل امرأة

تعتصم بالحجاب لعله يظفر بوجهها القمري!! لا أفهم ما الفائدة من إذاعة هذه القصة التي لم يطلع الزعيم عليها سوى القليلين.

ومن الماضي أيضاً كاتب كبير وصاحب مدرسة صحفية بارزة جمعته علاقة صداقة وخطبة لم تكتمل بمطربة شهيرة، فما أن ماتت في حادثة شهيرة في ريعان شبابها حتى اعتبرها خبطة صحفية وكشف ستر علاقاتها بأسرتها ونزواتها، وحتى الورق الصغير الذي كانت تدون عليه بعض أمورها الخاصة وأذاعه في كتاب شهير، وكأن الموت ليس بواعظ.

والأمثلة كثيرة من الماضي نختتمها بكاتب كبير له مؤلف ذائع الصيت في الأخلاق وفي الإسلام وحضارته فإذا بابنه الأول يضمّن في مذكراته أنّ أباه لم يكن يصلي، وأنه همّ بإجهاض أمه للحيلولة دون ولادته أما الابن الثاني فاتهم أباه في مؤلف له أنه سرق منه مقالاً ونسبه إليه!!

الحقيقة أني أتفهم أن الأديب يسيء لزميله لمنافسة غير شريفة جمعتهما في الماضي وأنّ كاتباً يذيع أسرار مطربة طمعاً في متاع الدنيا الزائل وحتى يشار إليه بالبنان كواحد من أساطين الصحافة والتي اعتبرها صحافة صفراء في حقيقتها وحقيقة من ساروا على دربه في صحافة الفضائح لكن ما لا أتفهمه أن يسيء الأبناء إلى أبيهم بهذا الشكل حتى لو كان من قبيل المصارحة والمكاشفة!!

هذه الأمثلة جميعها نماذج لكشف النفوس من قبل الآخرين أما كشف الإنسان لذاته وتعريتها أمام الناس وقد أمره الله بسترها فهذا أمر آخر.

نعود للحاضر وما أكثر خيانة المجالس وكشف ستر النفوس وقد أضحت المجالس إلكترونية وتسجيلها لا يحتاج سوى لضغطة زر لتسجيل المحادثة أو التقاط صورة لها.

فأحد الزملاء وجدته يوماً ينشر تحت نعي زميلة في المجال الطبي ماتت نتيجة ضغط العمل آخر محادثة له معها قبل الفجر وبعد سويعات من ذلك فارقت الحياة، فماذا يجنيه الزميل من ذلك؟! هل التباهي بمعرفته لها والتي قد تسيء لها لدى ضعاف النفوس وهي في العالم الآخر؟!

ثمة امرأة أرملة تخطت الخمسين من عمرها لا يمكن إنكار جمالها الساحر الذي جعل الكثير من متابعيها ومنهم الشباب المراهقين يتبعونها ويحاولون خطب ودها عبر محادثتها على الخاص، فكانت السيدة الطروب تتحفنا على صفحتها يومياً بصور للرسائل الخاصة للتشهير بأصحابها الراغبين في علاقات معها أو الزواج منها، مطالبة الآباء والأمهات بتربية أبنائهم!! نعم أخطؤوا وربما كانوا صادقين في مسعاهم ولكن في كلا الحالتين أليس الستر أولى؟! وضغطة زر لإلغاء الصداقة ومنع الرسائل من الطرف الآخر كافية لجمح زمامه، ولكن أحياناً تكون لدى البعض الرغبة في إشعار أنفسهم ومتابعيهم بأنهم محور الكون ومطلب الشباب مهما مضى من العمر!!

ثمة امرأة أخرى متقدمة في العمر تتبع مؤسسة ثقافية مرموقة لا تفتأ تعرض صوراً إباحية ورقصات مبتذلة تحت ستار الفن الحديث، فيكون

نتاج ذلك عشرات من الرسائل الخاصة تصورهم وتنشرهم على الملأ يومياً مهددة إياهم بالوعيد وعظائم الأمور لقلة تربيتهم!! الحقيقة أتعجب من الجاني ومن المجني عليه في هذه القضية؟!

فتيات التيك توك أصحاب مقاطع الرقص واستعراض الأجساد حينما يتحرش أحد بهم لفظياً عبر الرسائل الإلكترونية، ويتم فضح أصحاب الرسائل علناً.. على من يقع العقاب هل على أصحاب الرسائل أم على أصحاب الاستعراضات الماجنة أم مشاركة بينهما؟ لو أدرنا المسألة من مبدأ الحرية فكما أن للفتاة حرية استعراض نفسها، فمن حق الشاب أيضاً حرية طلب علاقة معها ولها أن تقبل أو أن ترفض؟! أليس كذلك؟! فاحشة وفاحشة مقابلة وفساد مجتمعي أليس كذلك؟! فماذا لو كان الستر في الأولى وعدم الانجذاب وراء فعل الخطأ والستر في الثانية، وعدم إذاعة رسائل رد الفعل على الخطأ أيضاً ما لم يقع ضرراً في الحالتين؟ أعتقد سيكون المجتمع صحياً أكثر ومتزناً نفسياً بشكلٍ كبيرٍ...

الأطرف هو لجوء بعض الفتيات المراهقات أو الباحثات عن الزواج أحياناً إلى اختلاق رسائل والتمويه على أسماء أصحابها، وكأنه الستر لهم وفي الحقيقة أنه لا يوجد رسائل من الأساس إنما الأمر لا يعدوا كونه ترويجاً كاذباً لمسعى مشروع هو الزواج.

من القضايا التي ظهرت مؤخراً أيضاً فنان كبير توفي دون وريث من صلبه فإذا بجار له يدعي أنّ له ابناً من فنانة شهيرة وله نفس ملامحه.. خوض في الأعراض بكل بساطة وهو لا يستحي من القسم أمام الناس على شهادته!!

-شاعر عامي حكم عليه بالسجن لأنه أخل بمهام وظيفته وباع ملفاً نظير مال فسجن.. انتهت القضية يا سيدي فهل تبت إلى الله أم هذا من قبيل الماضي المجيد الذي تتباهى به في الإعلام خاصة إذا صرّح أيضاً أنه لا يصلي؟!

بالطبع ظاهرة التهكير على الحسابات الإلكترونية والتشهير بأصحابها ونشر رسائلهم وصورهم الخاصة سواء أكانت حقاً أم افتراء فهي من أحط صور خيانة المجالس وتتبع عورات الناس وخصوصياتهم.

الحقيقة أننا على مسافة واحدة من قضية مجتمعية ألا وهي ضرورة الترفع عن خيانة المجالس وكشف ستر النفوس ولو كان أصحابها على خطأ فلا يكون رد الخطأ بالخطأ بل بالتحلي بسعة البال وعدم فضح الناس ونشر فضائحهم ما دام لم يلحق بنا أذى حقيقي وموجب للعقاب.

مثلاً: رجلٌ يتحرش بالقصر في جنح الظلام ولولا كاميرا المراقبة في أحد المعامل أظهرته لأكمل في نفس المسعى المزري بقية حياته. المشكلة في هذه القضية هي تداول الفيديو في كل الميديا الإلكترونية والتلفزيونية والأولى هو منع الرجل من الفاحشة هذا أولاً وهو ما حدث فعلاً، ثم اللجوء إلى الجهات المختصة للقبض على الرجل ومحاسبته على جرمه لا نشر الفيديو

على هذا الشكل لما فيه من إضرار بسمعة الطفلة ومستقبلها وكذلك أسرة الرجل ومستقبل بناته.

أستاذ جامعي من الأسرة الطبية شاءت الأقدار أن يستمني _بخاطره أو لا إرادياً_ في حافلة عامة، وعلى مقربة من سيدة أيضاً تتبع المجال الطبي.

تصوير الواقعة لتقديمها للجهات المختصة أمر مقبول، أما تصويره وهو يتم ضربه وإهانته في الشارع، فهو أمر مرفوض ففيه تشهير به ولأسرته.

التقدم بهذه الأمور للجهات المختصة لفحص القضايا هو المنشود فهي التي تحقق وتدرس الأسباب، فربما صاحبي الواقعتين مريضين نفسيين بحاجة للعلاج وربما مذنبين عن قصد وسيلقيا جزائهما وفي توقيع الجزاء توبة وعودة عن اقتراف الإثم، وفي ذلك خير وانتشار الفيديوهات على هذا الشكل يؤجج نظرة المجتمع تجاه المذنبين على الدوام ولا يدعهم ينخرطون داخل المجتمع بعد التوبة بشكل طبيعي، بل ربما كان دافعاً لهم نحو الانتحار أو لمزيد من الانحراف..

كثير من العقل مع شيء من التريث وعدم الاندفاع وراء العاطفة ومع مزيد من الموضوعية والنظرة الأبعد نستطيع حل كثير من المشكلات في مجتمعاتنا.

****

القيم الأخلاقية بين المادية والجبلة الفطرية

منذ ظهور الرأسمالية واستشراء قيمها المادية بأنيابها وأبعادها اللا إنسانية قد رسخت عدة مفاهيم مغلوطة في المجتمعات طغت على ما سواها والفطرة السوية ومن خلفها الدين منها براء ومن ذلك:

1-قاعدة العميل على حق: لافتة لا شك جذابة وتدعو في ظاهرها إلى احترام العميل وتوقيره وتقديم الخدمة على أكمل وجه لكن في حقيقتها خلقت شيئاً من العنجهية الفارغة والاستكبار لدى بعض العملاء، وجهت من قبل الرأسماليين بما يسمى لغة الجسد وضرورة دراستها للتعامل مع كل عميل وفق طباعه وكسب وده والتصرف في المواقف المختلفة العلم مهم ولكن دعم الأخلاق أهم.. والحقيقة أن الشعار يمثل شكلاً من عدم العدالة، فالعميل على حق متى كان محقاً هذا هو الصواب.. فهل حينما يعتدي مواطن عربي على بائع مصري بالضرب على وجهه عدة مرات والعامل من قلة الحيلة مستكين وصامت فهل العميل هنا على حق وكان لابد من استيعاب العميل وعدم إيصاله إلى هذه الدرجة من الغضب واستخدام العنف؟! العميل وببساطة يحتاج إلى مؤسسة مختصة ولنسميها مثلاً شرطة الأخلاق يقضي لديها فترة لإعادة تأهيله وتدريبه على الأخلاق، ثم إعادة انخراطه مرة أخرى في المجتمع.

2-عدم تخطي رؤسائك في العمل: عبارة تجذبك للوهلة الأولى وكأنها حق أصيل أو مسألة روتينية منطقية، لكن يندرج تحتها من الأهوال الكثير فالمؤسسات في عالمنا العربي لا يحكمها قانون ثابت، بل في أغلبها تخضع للسلطة المختصة أي لمزاج سعادة المدير ومزاج سعادته يتقلب بتقلب البيئة المحيطة به كزوجته وأولاده ورضا مدير مديره عنه، وكذلك درجة تمكن عقدة الأنا منه وكراهية أن يشاركه أحد النجاح وهكذا.. يحكي لي صديق أنه عمل في عمل خاص مع مدير كان التحقير من عمل زملائه والتقليل من أقدارهم مزاجاً لديه وسلاح في يديه يضمن له البقاء في منصبه كرئيس لهم، وعلى الرغم مما كان يبديه من عنترية عليهم كان كمثل النعامة الوديعة يخفض رأسه تذللاً لمديره الأعلى منه، وكان دائماً ما يسأل سكرتير مديره عن مزاجه إن كان يسمح بالزيارة أم يؤجلها لوقت آخر، فقد كان لمديره الأعلى زوجتان إحداهما صغيرة السن والأخرى طاعنة في السن وهي مصدر ثروته المادية تسبه وتهينه وتعكر صفو يومه بينما الصغيرة هي مصدر الدلع والراحة، والأسبوعُ مقسمٌ بينهما ولا يعلم أحد ليلة المدير أين قضاها ومزاجه البادي على وجهه في الصباح سوى سكرتيره، خاصة أن عينيه تقطران بالاحمرار طوال الوقت من فرط تعاطيه الحشيش!!

في هذا المناخ فشكواك إلى رئيسك في العمل هي لغشوم ظلوم لا حيّاه الله ولا بياه، فإذا رفعتها لمن هو أعلى منه فهو أظلم منه وأغشم، وتوقع العقاب

من الاثنين معاً تحت بند تعدي رؤسائك في العمل دون فحص أصل المشكلة.

3-مصلحة العمل: عبارة فضفاضة يستخدمها بعض أصحاب العمل لتعذيب مرؤوسيهم العذاب الأليم. مثلاً:

مدير بإحدى الهيئات كان يسعى لرضا المحافظ في مدينته فترك أي اعتبارات إنسانية وراح يفرق بين المرء وزوجه، فلو اجتمع موظفان زوج وزوجة في نفس الإدارة نقل أحدهما لمركز بعيد عن الآخر من باب تحقيق الشفافية؟! دون أي جريرة أو ذنب ودون النظر للحالة الاقتصادية لبعض الموظفين الذين يعيشون اليوم بيومه لمجرد نيل رضا المحافظ الذي قد يحمله لمنصب هام مستقبلاً ويا لها من مكانة لو كنتم تعلمون؟!

4-الحقوق والواجبات: في القطاع الخاص دائماً ما يكون قاسياً فيما يتعلق بالواجبات، أما فيما يخص الحقوق فيترك المسألة في العادة مائعة دون تحديد فمهام وواجبات الوظيفة سيف مسلط على صاحبها يحاسب ويعاقب على أقل تقصير أو حتى النية للتقصير أما حقوقه فلا احترام لعدد ساعات العمل ولا أي زيادة في الأجور تتناسب مع غلاء المعيشة ولا تأمين صحي فتجد أصحاب صيدليات كبرى يقفون ضد التأمين على العاملين بصيدلياتهم تحت ادعاء أن الصيدليات لا تجني دخلاً فيما لا يجد حرجاً أن

يشغل العمال لديه لأكثر من اثنتي عشر ساعة دون راحة وبأقل سعر ساعة مستغلين ضيق حال الشباب واضطرارهم للعمل.

5-الشغل شغل (بيزنس إيز بيزنس)

كل الموبقات في أي عمل توضع تحت هذه العبارة والأمثلة كثر.

-طبيب يثقل كاهل مرضاه بأدوية وفيتامينات ومكملات غذائية ليست ضرورية لمرضاه من أجل أن يربح عمولات وسفريات من شركات الأدوية فضلاً عن زيادة دخل صيدلية المستشفى أو المستوصف الخاص الذي يعمل به. منهم طبيب كان يلقن مريضه لونَ العلبة وشكلاً مميزاً عليها فمثلاً: "لا تشتري إلا العلبة الخضراء وعليها الدبدوب"! والمريض يشتريها وهو مقتنع أن شفاء ابنه مرهون بها، فلا يقبل سواها وربما كان لها أكثر من مثيل دوائي بسعر أقل، ولكن يظل يبحث عنها، فهل يستطيع صيدلي شريف مثلاً أو ممرضة ضميرها يقظ أن تبلغ إدارة المؤسسة عن سلوكه غير القويم.. ستكون إجابة المؤسسة إما فصل صاحب الضمير اليقظ لأنه يضر باقتصاد المؤسسة ويشوه سمعة زميله الطبيب المجتهد!! أو في أحسن الظروف توجيه صاحب الضمير اليقظ أن مرتبه آخر الشهر يجنيه من عمل هذا الطبيب.. "بيزنس إيز بيزنس" يا عزيزي ليس للأخلاق مكان.

-مندوب تحصيل شاب لقي حتفه في حادثة فيسرع مديره من فوره للعزاء لا ليواسي أسرته، بل ليسأل عن أموال التحصيل أين ذهبت؟! ولسان حاله "بيزنس إيز بيزنس" والحي أولى من الميت.

-موظف خدمة عملاء يعاني من مرض السكر مما يضطره لدخول الحمام مرات عدة ومديره يؤنبه في كل مرة على ترك عمله دون مراعاة لظرفه الصحي، فينهي الرجل حياته من كثرة توبيخه والمدير لا يجد في ذلك حرجاً ولمَ لا؟! والناس على دين ملوكهم والشركة لن تعنفه فهو عينها على انتظام أداء العاملين ولسان حالها وبدم بارد "بيزنس إيز بيزنس".

-حارس أمن بمؤسسة صحية مصاب بالصرع ومديره يأمره بالمبيت للحراسة ليلاً، والحارس يوضح دون جدوى أنه معرض للتشجنات وقد لا يجد من يسعفه والمدير يعتبر هذا هروباً من الواجب ويرغمه.. فيأتي الصباح وقد فارق الحارس الحياة إثر نوبة تشنج ليلية ابتلع معها لسانه، ولم يجد من ينقذه والمدير لا يجد في ذلك حرجاً؛ فالشغل شغل ولم يلتفت أحد للأمر!!

6-خلط الأوراق والمفاهيم المرتبكة:

من أعظم ما جنته الرأسمالية والمدنية العصرية على البشرية أن عملت على خلط الصواب بالخطأ والعدل بالباطل، وغيبت أركانهما وجعلت أصحاب

الثروة والنفوذ لهم اليد العليا في المجتمعات، هم من يحددون المفاهيم وفق رؤيتهم وما يخدم مصالحهم ويحقق مآربهم. ومن الأمثلة الكثير:

-ممثل شهير يفتخر أمام التلفاز أنه ليلحق دوره بفيلم وقد باغته الوقت استدعى سيارة الإسعاف مدعياً أنه مصاب بوعكة صحية ليلحق موعده ويسعد مشاهديه! والمذيعة منبهرة بالقصة وبحرصه على الوقت، والأولى هو تقديم مثل هذا الممثل للمحاكمة، فالواقعة أكبر من كونها طرفة واستظراف فلربما أضاع في لحظات لهوه هذه على مريض حقيقي مسكين فرصة توافر سيارة إسعاف لإنقاذه وهو في حالة حرجة.

-ممثلة مسرحية من الزمن الجميل حينما يتناول الإعلام المرئي والمكتوب ذكراها يتحدث عن كونها تركت ابنتها مريضة للحاق بدورها على المسرح فماتت الابنة، وهكذا ضحت بابنتها من أجل متعة جمهورها... فهل هذه هي القيم والأخلاق التي نصدرها للناس فتتحول قسوة القلب والتخلي عن الواجب وغياب التراحم تضحية مجتمعية؟!

-سيدة من سيدات المسرح المدافعات عن المثالية تتزوج عرفياً حتى تستمر في الحصول على معاش زوجها الراحل، وتقاسم أبناءه من زوجة سابقة؛ فماذا ترك صفوة المجتمع الراقي للمهمشين والبسطاء وغير المتعلمين من أفعال غير لائقة؟ ولمَ نلوم سيدة أرملة حينما تتزوج عرفياً من سائق توك توك مثلاً لتحتفظ بمعاش زوجها الراحل!

-راقصة شهيرة لها أفلام منافية للآداب مع أحد رجال الأعمال تتحدث عن الفرق بين جيلها والجيل الحالي، وأنها أخذت طريقها في الفن كفاحاً خطوة خطوة، بينما يريد الجيل الحالي الصعود السريع دون بذل جهد!! لا أفهم عن أي جهد في مسيرتها تتحدث؟! ولماذا يفتخر بها ذووها ويتخذونها مثلاً أعلى؟!

فصل الدين عن الدولة: من فترة وجيزة وجدت أحد أصحاب الصحف يوصي في حالة مماته أن تظل خطى صحيفته في الدعوة إلى فصل الدين عن الدولة جميل هذا الاقتراح والإيمان العميق لدى البعض به، ولكن إن غاب الدين من أين نستقي الأخلاق التي تبني المجتمعات وتقوي دعائم الدول؟! لقد شاعت الفاحشة وانقلبت الموازين حينما غاب الدين وتطبيقه في حياة البشر؛ فأصبح الناس في سباق مع المادة وخلت حياتهم من الروح والدفء والبركة والتراحم والمشاركة، وسؤال الجار عن الجار وسؤال الأبناء عن أهاليهم، حتى صار كبار السن يموتون لسنوات داخل شققهم ولا يعرف أحد بوفاتهم إلا بعد فترة وقد تحللت أجسادهم.

الحل في كل هذا بسيط وهو إعادة الدين مرة أخرى بمنظور أخلاقي عام وإعادة مآثر النظام الإسلامي ألا وهو نظام الحسبة ولكن بشكل مدني عصري في ثوب شرطة الأخلاق وقضاء للأخلاق لا يستخدم العنف ولا الأحكام المعتادة بالحبس مع عتاة الإجرام، بل يدعو الناس إلى الأخلاق والاحتكام للعقل في حل المنازعات ويكون له سلطة الإبلاغ للجهات

المختصة عن الألفاظ البذيئة والعبارات النابية والشتم بالشوارع والطرقات، ويكون العقاب بإعادة التأهيل والتأكد من سلامة السلوك ليعود للمجتمع سجاياه في طهارة اللسان وعفة القول وسماحة القلب وتغليب العقل عند الغضب.

ومن الحلول أيضاً أن يكون هناك آلية لقياس رضا العاملين عن مديريهم وضرورة تغيير المديرين كل فترة واختيارهم على أساس الكفاءة والقدرة على إدارة الحوار وتدريبهم أن كسب القلوب أهم من كسب المواقف وأن الكلمة الطيبة صدقة؛ فالإدارة ليست تجهماً وممارسات سادية على عباد الله وإنما إدارة أعمال بشكل هادئ يحقق المبتغى دون ضرر نفسي بالعاملين.

كذلك أن يكون لكل موظف في أي منشأة توصيف وظيفي واضح لا يكلف بغيره ويتم تدريبه عليه وأن تكون مهاراته وشهاداته مناسبة للعمل الذي يقوم به.

وأن يسود المجتمع مفهوم العمل الجماعي والمشاريع التشاركية، فاليوم الذي ستتخلى فيه الأنفس عن عقدة الأنا ويكون من موجبات التعيين في الوظائف توافر الأخلاق واختبارها لدى المتقدمين للوظيفة حتماً سندرك أن ثمة تغيير قد حدث في مجتمعاتنا.

****

أمانة القلم

هل أندم على ما كتبت في مراحلي الأولى أو حتى الأخيرة؟! بالطبع لا.. إنه ليس عيباً أو عاراً أن أغير فكري مع كل مرحلة من عمري، كما أنه ليس من الخطيئة أبداً أن أصل إلى نتيجة من مصادر مغلوطة أو غير مكتملة اعتمدت عليها في أول حياتي لعدم توافر غيرها..

كثيراً ما أقرأ عن جدوى الانتظار حتى النضوج ولكن هل من سبيل لبلوغ النضوج إن لم نترك لأنفسنا خوض التجربة مرة بعد مرة؟! بالتأكيد سنتعلم ربما بعد مرة وربما بعد عشرات المرات، ولكن حتماً سنتعلم وهذا هو الحصاد المثمر.

إن كل ملكات وأدوات الكتابة مكتسبة بطبيعة الحال، فهي تتولد وتتشكل بالدوران في فلك الأفكار وأفكار المرء بعضها بعامل الوراثة ومنغرس بعوامل الثقافة الأولى كالتأثر بالوالدين والمدرسة والمعلم الأول لكن يبقى جلها متغير طوعاً لمسرح الحياة وتقلبات البيئة المحيطة وتعقيدات النفس وحسابات الذات.. لقد كان لي الحب يوماً كل شيء، فكنت أضمنه في كل قصة أكتبها في خطواتي الأولى، فالبراءة في عيني الحبيبة واللهفة مع كل لقاء ومشاعر الشوق المختلجة مع كل كلمة من ثغرها ألف قصة وحكاية، أما الآن فأوقات كثيرة لا أجد للحب مكاناً في كتاباتي لأنه وببساطة لا

اللهفة لهفة ولا البراءة كانت في حقيقتها براءة، وما أكثر التجارب وأقل الدروس.. لقد تبدلت الحروف مع الوقت وتغيرت الأمنيات مع السعي وتباينت أولويات الحياة مع العمر.. حينما أرجع لكتاباتي هذه أشفق على ذاتي لكني لا أمحو منها شيئاً، فهي فصول من حياتي قد مضت.

وفي الكتابة الدينية أجد نفسي أبحرت كثيراً بين شطآنها بين التدين أحياناً والترك أحياناً وبين التقيد أحياناً وبين التمرد أحياناً أخرى فسطرت سطوراً بين هذه المحطات جميعاً أفضت ببعضها وعزفت عن الكتابة في بعضها وتملكني الحزن في بعضها وقليلاً ما أحسست بالرضا عما أكتب في كثير منها. ولكن في كل حالاتي لم أندم على أي سطر كتبت فلم أكن لأبلغ ما بلغت في أي مضمار إن لم أحاول وأخطئ.

أعترف أن أقسى ما أضناني هو البحث في كهوف التاريخ بين معلومة مغلوطة هنا أو معلومة غير مؤكدة هناك، واستخلاص نتائج مع ضعف نسيج الحقيقة وما أقل الحقائق في عوالم التاريخ، فكنت أضطر أن أصحح ما أكتبه بين كتبي المختلفة إن ظهر لي ما لم أطلع عليه وقت كتابتي الأولى لكن مع الوقت وجدت أن العبرة في دروس التاريخ ولو كان غير صحيح هو المهم وهو الأهم من تحري التاريخ ذاته أحياناً.. هل تصدق يا عزيزي قصص النعمان أو كسرى أو هرقل مما رواه مؤرخونا القدامى؟! وهل أنت مقتنع حقاً بسير حياة شعراء الجاهلية وأخبارهم المتشابهة طبق الأصل أحياناً خاصة مع الحب العذري الذي لا يستقيم مع حياة البادية!!

ناهيك عن المبالغات أحياناً والفكاهة الممزوجة بالسذاجة أحياناً أخرى، كمغامرات أبي نواس مع الرشيد! إن قدح الذهن سيقودك حتماً إلى أنّ كثيراً من هذه الأخبار موضوع فقط للتسلية وشد الانتباه، وبعضها مختلق للتدليل على العظات والعبر والبعض متعلق بالحط من مكانة هذا أو تزكية أفعال ذاك هذا كل ما في الموضوع لا شيء آخر.

إذاً فليكن حصادنا من التاريخ العظة والاعتبار والحفاظ على طاقات البحث مما لا جدوى منه وتوجيهاً من أجل بناء الحاضر وتشييد المستقبل..

منذ فترة وأنا في حيرة مع ذاتي وألف سؤال وسؤال يعتصرني لماذا نكتب؟!

هل نكتب طوال الوقت عن مآثر من رحلوا وخطواتهم ونجمل في شخوصهم من أجل أن نحصد أقداحاً من الشهرة من وراء شهرتهم وذيوع صيتهم..

فلا هم كانوا كذلك ولا نحن ببقائهم كذلك سنبقى، بل حقيقة ما نصنعه هو الاستمرار في نسج الأوهام والترويج للمثالية الزائفة..

لقد أحصيت مرة عدد ما كتب عن أديبة كانت ذائعة الصيت في الثلاثينيات من القرن الماضي، وكان أدباء عصرها متيمين بها، وتفرقت عرى حبها بين أدباء من المشرق والمهجر ولا أحد يعلم من كانت تحب منهم، ولا أظنها شخصياً كانت تعرف؟! حتى انتهى بها الحال في مستشفى العصفورية وحجر أقاربها عليها؟! فتجد مقالات لا تحصى هل أحبت فلاناً؟! هل أحبت علاناً؟! هل دخلت المستشفى بمؤامرة للحجر عليها أم لا؟! فهل هذه الأسئلة تستحق آلاف المقالات للإجابة عليها؟!

أم هل نكتب بحسب ما تمليه علينا الظروف، فإن وجدنا الزمان قد حاد عن الدين ورجاله انطلقنا في تشويهه وإعادة صياغته وفق الأهواء طمعاً في شهرة دنيوية زائلة.

فتجد كاتب صحفي كل إسهاماته الفكرية النيل من الدعاة الإسلاميين وتسييس فترة وجودهم فيما تجده يستنكر كل يوم ما حل بالمجتمع من جرائم، كقتل زميل لزميلته بالجامعة أو إلقاء شاب لنفسه من برج القاهرة أو كوبري بمحافظته.. فهل لو أتحنا المجال لدعاة جدد هل ستكون هذه النتيجة؟!

وتجد كاتباً آخر كل نتاجه العلمي هو محاربة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة والسخرية منه، ومن القصّ القرآني، وعلى الرغم من خلفيته كطبيب لا تجد له حرفاً ذا قيمة في تخصصه سوى بضع مقالات مترجمة أثناء الجائحة يتعالى بها على المتدينين، وكأنه مخترع أساليب مكافحة العدوى في العالم وليس مجرد ناقل لها!!

أم نكتب أشياء خفيفة عن الخرافات والأوهام نضيع وقت بعضنا بعضاً بينها.

أكاد أحزن حينما أجد أكواماً من كتب لكاتب مشهور كان ملء الأسماع والأبصار يتحدث عن الذين صعدوا إلى السماء والذين هبطوا منها من مخلوقات فضائية بنوا وشيدوا عجائب الدنيا، فهل كان البشر وقتها نياماً؟! ولم يسجلها غيره من معاصري هذه الأحداث الجسام!! والطريف أنّ أغلب

كتبه مقتبسة عن أعمال أجنبية رديئة دون إشارة للمصدر وحتى حقيقة مصاحبته لأديب عملاق كتب عنها وتفاخر بها هي مصدر شك وريبة مع شهادات من معاصريه أنه لم يكن من جلساء الأديب العملاق!!

بعد بحث طويل وجدت أن التجربة القرآنية هي المثال والنموذج الذي يجب أن يحتذى في الكتابة، فالقرآن لا يؤرخ لأزمنة معينة ولا لأشخاص وأقوام بعينهم، بل يضعك أمام جوهر القصص بشكل واضح وصريح وجلي ليصل لك المغزى والعظة منها، فلا تكرر أخطاء الأمم الماضية وتنطلق في أثر العلم والإيمان لتشيد واحة مندوحة من السلام الإنساني تظللها الأخلاق ويحتويها العمل والتجربة.

إنّ أمانة القلم تقتضي أن نكتب بحرية ما نؤمن به في حينه فإن أخطأنا بقي الأمر اجتهاداً لا يعيبنا فالمحاولة مرة بعد مرة خير من الركون والانتظار ليوم نشعر به بالنضوج لن يأتي ونحن للدعة ساكنون..

كما أن أمانة القلم تستلزم أن نكون على القدر المطلوب من التواضع حتى يصدقنا الناس، فلا نعيش فصاماً نكداً بين الظاهر للناس والباطن حتى يحفظ لنا التاريخ صدق رسالتنا وحسن نوايانا وسلامة مبتغانا، فنكون مصدر إلهام ونبراساً لكل محبي الخير ونشر العلوم والتيسير على الناس وأن نمتلك ثقافة الاعتذار، وللأسف نماذج كثيرة تعيش هذا الفصام فمثلاً:

-أحد من يدعون اختراعهم لفن شعري جديد على غرار الهايكو مثلاً _وما أكثر المخترعين اليوم في عالم الأدب_ يعلو ويستأسد على من يمنحهم

شهاداته وأوسمته، ويمن عليهم بوقته الثمين، وقيامه بالعمل وحده دون مساعدة أحد في التعليم والتعليق والتصميم والتصحيح ومنح الأوسمة؟! وكأنه مخترع قدم للبشرية ما لم يقدمه سابقوه وليس بضع صفحات فيسبوكية هزيلة لا تفهم مغزاها ورسالتها وبضع مجلات إلكترونية لا يقرؤها أحد!!

-طبيب شهير لا ينفك عن تقديم النصائح على الميديا الإعلامية وعبر مقالات على الصحف عن التواضع وحسن السير وضرورة التحلي بالأخلاق في الوقت الذي إن دخلت على صفحته على الفيس بوك والتي دشنها لعلاج مرضاه في سابقة الأولى من نوعها في التاريخ عبر العلاج عن طريق الصور!! حيث يتطلب تخصصه الفحص والمناظرة للمريض ومع ذلك فهو يتلقى صور المرضى ضارباً بخصوصية المرضى عرض الحائط من أجل تشخيصهم وكتابة العلاج لهم وكل هذا تحت عنوان إنسانية طبيب!! عنوان ساحر بالطبع سيجذبك إلى التجربة لتجد طريقة من الاستعلاء والمن من جانب الطبيب على المرضى المساكين بنصف الساعة التي يستقطعها من وقته الثمين يومياً للرد على استفساراتهم!!

-فنانة تسرق لوحاتها من فنان بدولة أخرى وتتقاضى الملايين نظير وضع هذه اللوحات بمحطة للمواصلات ولا تمتلك ثقافة الاعتذار ورد الحق لأصحابه، فالفن رقي ورقي الأخلاق أسمى وأعلى..

إنها أمانة التحرر من الأغراض وأمانة الصدق مع الذات ومع الناس كي تنضح نبضات القلم بالصدق والأمانة حتى نصنع حضارة تضاهي ما مضى وتتفوق عليه نتركها لأجيال قادمة.

****

اللغة العربية.. انطلاقة نحو التجديد

تعد اللغة العربية من اللغات العريقة الضاربة بجذورها في أعماق التاريخ، ويكفيها شرفٌ وعزةٌ وفخرٌ أنها لغة القرآن الكريم ولكن تظل اللغة العربية بشكلها الحالي عقبة أمام الناطقين بها وكاتبيها ومحبيها.

معاجم تذخر بكلمات عربية هائلة بعضها مهجور غامض بمعانٍ متشعبة وكثير منها يؤدي لمعنى واحد، مما يؤدي للالتباس بينها ومحاولات تبدو أحياناً واهية لتخصيص المترادفات على نحو يجعلها متباينة المقاصد ويخلق لاستخدامها في الجملة هدفاً... ملحمة من القواعد تتحكم كمظلة مهيمنة على اللغة العربية، ألا وهي النحو وهي قواعد تشتمل على استثناءات شتى تفوق أحياناً القاعدة نفسها، مما يجعلها مثقلة لكتاب العربية علاوة على عدد هائل من قواعد الإملاء والتشكيل المعجزة على الإتقان.

دعونا نضرب مثالاً على حجم المشاق لو باحث في علم من العلوم التطبيقية والتجريبية مثلاً فحتى يكتب بحثه بتعريب كامل فلديه إشكالات عدة تستغرق منه وقتاً أطول من البحث العلمي ذاته، فعليه البحث عن تعريب مناسب للمصطلحات قد لا يتحقق مع كثرة مشتبهات ألفاظ اللغة علاوة على ضرورة اتباع القواعد النحوية والإملائية وعلامات الترقيم والتشكيل أحياناً، وهو ما يجعله يلجأ إلى مدققين لغويين بأسعار مبالغ فيها، ولن

يصل مهما حاول لدرجة الكمال المطلوبة، فالخلافات فيها كثيرة والفذلكات في بواطنها عديدة.

منذ فترة وجدت أحد الكتاب المشهورين قد أراح رأسه من عناء تتبع بعض المغرمين باصطياد سقطات المشاهير النحوية والإملائية له، وما أكثرهم! فجلّ اهتمامهم بالمظهر دون جوهر الموضوع وحول كتاباته جميعها بالعامية فلا نحو مطلوب ولا إملاء مرغوب.

في المرحلة الإعدادية كنت مغرماً باللغة العربية وقواعدها شديد التقديس لنحوها وبلاغتها، وكنت وقتها أتغنى بقصة سمعتها من معلم اللغة العربية والذي كان متيماً بسيبويه محباً لتلاوة ألفية ابن مالك على مسامعنا بمناسبة وبغير مناسبة. تقول القصة أنه في أحد العصور أصدر الخليفة أمراً بالعفو عن أحد المحكوم عليهم بالإعدام فأملى على كاتبه: "الإعدام لا. العفو" لكن الكاتب وقع في خطأ إذ كتب: "الإعدام. لا العفو" فأطاح مكان النقطة الخاطئ برقبة المحكوم عليه بالإعدام ونفذ فيه الحكم.

طبعاً قصة من قبيل الخيال العربي الجامح والذي تزخر به كتب التراث العربي والواضحة الدلالة على أنها وضعت لخدمة اللغة وليست حقيقية وليس هناك ما هو أدل على اختلاق القصة من أن علامات الترقيم ومنها فواصل الجمل وضعت في العصر الحديث ونقلت إلى العربية تأثراً بالغرب، وبالتالي لم تكن موجودة أيام الخلافة!!

ولكن هب أنّ القصة حقيقية فهل هذا ينبئ بدقة اللغة أم بإشكاليات في بنيانها وخطورة في تأويلها، إن سقطت نقطة فاصلة بين كلماتها فتكون كارثة لا تبقي ولا تذر!

في مقال لصديق لي حمل بشارة أن عمرو بن العاص ليس هو قائل المثل الدارج: "مجبر أخاك لا بطل"، وأن قائلها هو الشاعر الجاهلي بيهس بن هلال الفزاري، واستدل على ذلك بفصاحة عمرو بن العاص والتي ستجعله حتماً يلتزم بقواعد الأسماء الخمسة في النحو، ليكون النطق الصحيح بلغة قريش "أخوك" وليس "أخاك". ترددت كثيراً في أن أصدم صديقي أن الاستدلال بقواعد اللغة العربية في حسم هذه الأشياء ليس بهذه البساطة، فالقواعد النحوية العربية في أصولها مرتبكة ومختلف فيها بين القبائل العربية، وأن النحو الحالي ليس سوى محاولة للتوفيق بين القواعد للعمل بأكثرها شهرة وفي النهاية وضعت ردي على مقاله كالآتي: "في الحديث عن هذا المثل فقد التزم أغلب رواته شكلاً واحداً وهو: "مجبر أو مكره أخاك لا بطل" ونستطيع أن نستكشف السر في ذلك في قوله تعالى: (إِنْ هَٰذَانِ لَسَاحِرَانِ)(طه: **63**) ذلك أن :"إن" ناسخة وناصبة، و(هذان) اسمها منصوب فكان من المفترض أن يكون النصب بالياء لأنه مثنى أي (هذين) لكنه جاء بالألف على لغة بعض العرب الذين كانوا يلتزمون الألف كصيغة ثابتة عند التعامل مع الأسماء الخمسة، ومنهم بني الحارث بن كعب وزبيد وخثعم وكنانة..

وإذا علمنا أن عمرو بن العاص من كتاب الوحي، فبالتالي نطقه للعبارة الشهيرة هذه ملتزماً الألف ليس مستغرباً.

ونسبة المثل لعمرو بن العاص حفلت بها كتب النحو استشهاداً ومنها كتاب مغني اللبيب عن كتب الأعاريب هو مصنف (لغويّ) للإمام ابن هشام الأنصاري المصري، عالم النحو الكبيـر المتوفي (**761** هـ) وورد في كتب المعاصرين من المؤرخين ومنهم جورجي زيدان في كتاب تاريخ التمدن الإسلامي وغيرهم".

الحقيقة أنّني كثيراً ما كنت لا أستسيغ قواعد النحو على شاكلة حذف حرف العلة في حالة جزم المضارع، ولا أتفهم جدوى هذا التخفيف المزعوم، لذلك كثيراً ما كنت أتعمد ترك الحروف دون حذف إلى أن ألح عليّ كثيرون من المدققين لاحقاً في ضرورة الالتزام بالقواعد، فلم أشأ الدخول في جدل عقيم..

في ظني أن ما يضع العراقيل أمام تطوير اللغة العربية بشكل أساسي هو اعتبار أن معجزة القرآن في لغته العربية التي تفرد بها وتحدى بها قدرة الشعراء والأدباء العرب وهذا لم يكن بالأمر الفيصل في ظني، فمعجزة القرآن الحقيقية في تشريعاته التي سبق بها العالم في وضع المواريث وتنظيم العلاقة بين الزوجين، وفي سن الحدود، وفي إخراج الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله الواحد القهار، والإقرار بوحدانية الله، وفي تشريع حقوق

النساء في الميراث والنفقة والطلاق، وفي حفظ حقوق الرقيق والترغيب في منحهم الحرية والعتق، وإقرار مبادئ السلام العالمي بين الناس وفي إبراز دور العلم في حياة البشر وفي نظرتهم للكون من حولهم. هذه هي الجوانب الأساسية التي تشكلت منها معجزة القرآن واللغة ليست سوى مسألة هينة في ثنايا هذه الجوانب، فالقرآن ليس كتابَ لغة قولاً واحداً، هذا ما ينبغي تأمله وفهمه والتأكيد عليه؛ فالقرآن يحتوي على ألفاظ أعجمية بالإضافة للعربية وله طريقة في رسم بعض الكلمات مختلفة عن مبادئ اللغة، فضلاً عن عدم تقيده في بعض محكم آياته بقواعد النحو المتعارف عليها، بل واحتياج بعض الآيات إلى روافد من الفقه والتفسير حتى يتم فهمها على الوجه الصحيح، فكيف نفسر قوله تعالى: (وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعامُ مِسْكِينٍ) (البقرة **184**) لغوياً دون أن نعود للتفسير والفقه لنفهم جوانب المسألة!!

لذا فالفصل بين اللغة العربية كلغة تعامل وبين كونها لغة القرآن الكريم أمر مهم وحاسم، فاللغة بمفرداتها وقواعدها تحتاج للتطوير المستمر وإدخال أشكال الحداثة عليها للتيسير على الناس وجذبهم للتعامل بها في كل أطياف حياتهم بدلاً من اللغات الأجنبية، أما لغة القرآن العربية فلا مساس بها ولا اقتراب منها، فقدسيتها من قدسية القرآن الكتاب السماوي في العالم الإسلامي..

إنّ اللغة العربية تحتاج لنظرة شاملة وأن تصبح بشكلها الحالي لغة (أم) للباحثين في صميم اللغة في الوقت الذي ينبثق عنها لغة أبسط في قواعدها النحوية والتصريفية والإملائية وفي كلماتها أيضاً، ليسهل استخدامها في الترجمة ونقل العلوم وتسهيل المعاملات التجارية، وللاستفادة من التكنولوجيا الحديثة.

****

خلّد أثرك

ثق عزيزي الكاتب أنك إن لم تحفظ تراث أعمالك بنفسك، فلن يقوم بهذه المهمة أحد من بعدك...

بالطبع ليست هذه قاعدة للجميع لكن من شذَّ عنها كانوا قلة وتحديداً في الفترات التي نطلق عليها الزمن الجميل..

عدد قليل من الأدباء القدامى هم من انبرى من بعدهم من حفظ تراثهم المحاط بالقداسة حتى يومنا هذا، فتجد مؤسسة ثقافية تحتفي برواية غير مكتملة إن جاز تسميتها رواية وهي على هيئة رسائل!! لأديب رحل منذ أكثر من ثلاثين عاماً، وجدت ضمن أوراقه، وتجد أديباً عالمياً راح من حوله في ماراثون لا ينتهي يسجلون كل صغيرة وكبيرة تحيط بكتبه ويجمعون المتناثر من مقالاته في سنواته الأولى والأخيرة قبل رحيله، ومنهم من اضطلع بمهمة أغرب وهي تسجيل ما كان يفكر فيه ولم يدونه!! بل ورصد حجم إنفاقه في أوجه البر!!

الفارق بين مؤلفاتنا نحن ومؤلفات جيل الزمن الجميل هو الاحتفاء الغربي الزائد بهذه المؤلفات عبر الجوائز الأدبية العالمية أو آراء الأدباء الأجانب وإشادة المستشرقين بأعمالهم. هذه هي القاطرة الرئيسة التي حملت بعض هذه الأسماء وكتاباتهم لعالم الخلود حتى يومنا هذا.. هذا بالطبع لا يقلل

من قيمة هؤلاء الكتاب وإسهامهم، بل يرفع من قيمتهم لكن لا يمكن إخفاء أن الغبطة تتملكنا من اليسر والسهولة وحجم التبادل الثقافي الذي جمع الكتاب من الشرق والغرب في سنوات الاستعمار الأجنبي والتمثيل الأدبي المتبادل هنا وهناك، وتواجد أساتذة أجانب بشكل مستمر بالجامعات العربية الناشئة أسهموا في البناء الثقافي ونشر الوعي بين كتاب الماضي وهي أمور قلّما تتيسر لكتاب اليوم إلا من طريق واحد ألا وهو التراجم من اللغات المختلفة وما أندر التراجم الصحيحة...

من العوامل الأخرى المهمة والتي مثلت سبباً رئيساً للاحتفاء بعدد محدود من الكتاب في هذه الحقب دون آخرين هو مدى قربهم وبعدهم من دائرة صنع القرار والمؤسسات والأحزاب والفرق السياسية في بلدانهم، وهذا السبب رفع من رصيد عدد من الكتاب وجعلهم في دائرة الضوء، فيما طوى الزمان أقلاماً أخرى عن عمد أحياناً أو بدون قصد أحياناً أخرى..

أدباء الزمن الجميل لم يكونوا بضعة أسماء وحسب لا نزال نردد أسماءَهم من فرط ما يأتي ذكرهم مع كل مناسبة حتى أضحينا نحفظهم عن ظهر قلب دون غيرهم، ولِمَ لا؟ وهم يحتلون صفحات الكتب المدرسية وعلى ألسنة وسائل الإعلام حينما تذكرنا بالزمن الجميل ورجاله!! لكن الحقيقة أن هذا الزمن المسمى بالجميل كان به أعداد كبيرة من الكتاب والأدباء العظام والشعراء أصحاب فكر، لكن لم ينالوا نصيبهم من الشهرة الكافية في عصرنا الحالي وفي عصرهم أيضاً لعدة أسباب، منها القديم وهو كونهم لم

يقتربوا من دوائر الضوء والصخب السياسي وارتكنوا أن فكرهم له الكلمة الفصل وسيفرض نفسه يوماً، أو لكونهم متواضعين بشكل كبير مما جعلهم محتجبين عن جلبة الأضواء والنزاعات الحزبية والسياسية أو لدخولهم في صراعات مناهضة لأنظمتهم مما همّش سيرتهم. هذا فيما يخص الماضي أما الحاضر، فمن بين أسباب عدم ذيوع شهرتهم وشهرة كتبهم: عدم اهتمام ورثتهم بتجميع إرثهم الثقافي أو بإعادة إصدار كتبهم علاوة على أن الصحافة في ذلك الزمان كانت مرآة العصر والجميع أفنى عصارة جهده في هذه الصحف بين مقالات ومشاركات وآراء، وتجميع ميراث هؤلاء الكتاب من بطون الصحف العربية مسألة شاقة وتحتاج لجهد ومال؛ فأرشيفات الكثير من المجلات العربية القديمة متاحة نظير مقابل مادي ليس باليسير، والباحثون ومن خلفهم المؤسسات الثقافية في عالمنا العربي يبحثون عن شهرة الكاتب قبل أن يتجشموا مشاقاً ماديةً وذهنيةً في البحث بين الأرشيفات والتجميع منها والتحقيق لها والنشر بمجلدات عنها. لذا فمبادرتهم من أجل جمع تراث كتاب قدماء غير مشهورين مسألة شبه معدومة، ونادراً ما يقبل عليها أحد.

كثيراً ما أحزن حينما أجد نسخاً خطية من مذكرات بعض الفنانين والفنانات والأدباء، وبعض العمد والمشايخ بالقرى، ومفكرات لعاملين في بعض المصالح وأعمال إبداعية لبعض الكتاب الشباب، تعود للعشرينيات والثلاثينيات والأربعينيات من القرن الماضي، تباع على الأرصفة وتعاني

الإهمال ولا تجد من يشتريها ويحققها ويضعها على درجة أهميتها في إعادة كتابة التاريخ ورسم صورة صحيحة للحياة في مصر قديماً أو ربما اشتراها أحد الهواة ولا يعرف قيمتها فتضيع إلى الأبد، أو يحتكرها مجتزئ منها قطوف يسيرة يعرضها بين الفينة والفينة من أجل حصد متابعات على صفحته وهذه نماذج كثيرة وللأسف الشديد تتاجر بالتراث بشكل غير لائق.

لذا يا عزيزي الكاتب فنصيحتي لك اِجمع كتاباتك وإسهاماتك بنفسك ولا تنتظر زمناً _قد يأتي وقد لا يأتي_ يعكف فيه باحث ما على جمعه أو تتوقع من ورثتك أن ينفقوا على هذا الأمر من بعدك فلو حافظوا على مكتبتك القيمة من بعدك لجيل واحد فهو من الأمور الخارقة للطبيعة بلا شك.

ما أقوله ليس أسوأ التنبؤات، بل أقربها التصاقاً بالواقع الحالي وحينما تكون مثلي من زبائن باعة الكتب القديمة ومن متابعي صفحاتهم لن تندهش من نظرتي التي ربما تنعتها الآن بالسوداوية حينما تجد مكتبة كاتب كبير في أدب الأطفال مثلاً بما فيها من كتب قيمة وإهداءات وملاحظات ومسودات تؤرخ لرحلته الطويلة تفترش الرصيف بحثاً عمّن يحنو عليها ويشتريها بسعر الجملة!!

ما أحزنني بشدة ميراث أستاذ دكتور ورائد دراسات تعليمية ورئيس جامعة سابق كل مؤلفاته وصوره الشخصية وأبحاثه المنشورة وصوره

بصحبة شخصيات عامة من ثورة **1952** وحتى أجندته الشخصية ورسائله.

هذا الأرشيف الكامل الذي جمعه الرجل كان في **4** كراتين "مارلبورو"، لدى أحد باعة الكتب القديمة، تصور عزيزي القارئ مبلغ هذا الاغتيال الشامل لتاريخ الرجل وما قدمه!

لذا كن مبادراً أنت وليس سواك لحفظ تراثك الذي تحب أن يصل إلى العالم وأنت على قيد الحياة، ومقتنياتك القيمة التي تشعر أنها جزءٌ لا يتجزأ من رحلتك ومشوارك ونظراً لأني ولخلفيتي بالعمل بالجودة الطبية اعتدت أن أجرب أي أمر على نفسي قبل طرحه على الملأ، لذلك فقد جمعت المئات من المقالات التي نشرتها وعشرات الحوارات التي أجريت معي وعشرات الرؤى النقدية حول رواياتي وكتبي وسيرتي الشخصية ومؤلفاتي الإلكترونية الشعرية والأدبية وذكرياتي مع جائحة كوفيد، ورحلتي معها من منظور شخصي ومن الزوايا العلمية والأدبية والدينية، فضلاً عن مؤلفاتي التشاركية مع كتاب آخرين في كتيبات إلكترونية وجعلتها متاحة كأرشيف كامل لي على عشرات المواقع والمكتبات الإلكترونية العربية والأجنبية، لتبقى أثراً أني مررت بهذا الكون يوماً، وحاولت أن أترك بصمة بواقعه، وأن أطرح حلولاً لمستقبله...

****

مفاهيم مقلوبة وقضايا وإشكاليات في الميزان

لقد جاء الزمن الذي بشر به السلف والذي فيه الحق متهماً والباطل هادياً والأهواء سائدة ودافعة للخنوع والسير خلف ما كان ظاهره باطل واضح البطلان ومن هذه الأمور ما كان شعارات تتداولها الألسنة وبعضها حلول لقضايا مجتمعية والبعض الآخر اعتقادات لا أساس لها ولا منطق يحكمها ومن ذلك:

1-شعار (اللي يحتاجه البيت يحرم على الجامع): والصواب ما يحتاجه البيت يقسم بين البيت والجامع؛ فلو كان الجامع هو بيت الله فوقف المال لخدمة بيت الله من أعظم الأعمال وأنبلها وبذل المال ولو كان يسيراً في سبيل الله فهو يباركه ويضاعفه لخلقه، إنها تجارة مع الله أما لو كان الجامع هو محصل الضرائب والزكاة فأداؤها واجب لما لها من أثر مجتمعي في تنمية موارد الدولة وقدرتها على أداء الخدمات الصحية والتعليمية التي تخدم الجميع، والبخل بها على الجامع بمثابة إخلال بالواجب نحو الدولة والمجتمع.

2-تعدد الزوجات حل أم مشكلة؟!:

قضية شائكة ستبقى حديث الساعة أبد الدهر خاصة في مصر بين مؤيد ومعارض والأمر محسوم ويسير الفهم.. حينما أناقش هذه القضية فسوف أتحدث من منظور اجتماعي محض بعيداً عن الدين وإن كنت مؤمناً أن

الدين هو منبع الرأي الثاقب وصاحب الحلول المستنيرة لكل قضايا المجتمع لأنه كلام رب العالمين.

ولكن لا بأس أن نجاري أهل الجدل ونطرح رؤى جديدة ونظرة أكثر شمولاً..

فمع الضغط النفسي والتوتر وارتفاع معدلات الفقر ارتفعت في المقابل نسبة الوفاة بين الشباب بدرجة كبيرة تاركين زوجات في عمر الزهور أرامل ولا عائل لهن، كذلك فالغلاء وتزايد الفقر حد من قدرة الشباب على الارتباط ووصل عدد كبير من الفتيات إلى الأربعين من العمر دون زواج والأسباب الاقتصادية ذاتها خلفت ملايين المطلقات دون عائد مادي أو معين.

إن كان تكامل البيت يتحقق برجل وامرأة فماذا لو زدنا من حجم الدائرة واتسعت لتحتوي أربع نساء ورجل؟ وماذا لو كان الوئام والتعاون حارساً لهذه الأسرة الكبيرة والصداقة بينهم جامعة ومتحققة ونتاجها ذرية كبيرة؟!

لذا فالتعدد حل اجتماعي سحري يقلل من بقاء الأرامل والمطلقات دون سند ويدعم فكرة المشاركة بين النساء في بناء بيت واحد، فعمل أربع زوجات مع الرجل يؤسس لبيت أكثر ثراء مادياً وأبقى استقراراً أخلاقياً ونفسياً..

إنّ التعدد هو حلٌ أخلاقي أيضاً من شأنه أن يحقق الشمولية داخل المجتمع ويقوي من دعائم الأسر، وليس العكس؛ فترحاب الزوجات ببعضهن البعض تحت سقف واحد ومع زوج واحد يتبعها المحبة المخلصة بين ساكني البيت وتكوين صداقات جديدة بينهن، كما يخلف أبناء كثر وذرية خلوقة وقدرة على التكاتف وروح نبيلة للتآخي الاجتماعي المكتسب بالعشرة والتفاهم وديمومة العيش الطيب.

إننا سنكون بذلك على أعتاب أسر منتجة ومتعاونة بقوة وشراكة ذات هدف مع تنوع الأفكار والرؤى والقدرة على مواجهة الأزمات بشكل جماعي وليس منفرداً.

سنكون أمام خبرات وعقول وتجارب أربع نساء ورجل تنتقل لأطفالهم وتتكامل في تقوية عزمهم وتهذيب أخلاقهم.

إن تحرر المرأة الحقيقي في تحررها من الاستئثار بالرجل وتقييده بزوجة واحدة وحسب، واعتبار التعدد جريمة إنسانية في حقها وهو في الحقيقة حل لو تعلمون عظيم.

بالطبع التعدد ليس بالضرورة مرتبطاً بقدرة الرجل المادية الكبيرة فقد يتحقق بهذا العقد ومشاركة النساء الأربع للزوج في العمل والنفقات المنزلية اكتفاء ذاتي كامل وإنتاجية عالية لو الزوج مثلاً مزارع أو صاحب مهنة حرفية. لكن تبقى أهم شروط هذا الزواج المتعدد هو موافقة الزوجات على التعدد، وكذلك أولياء أمورهن إضافة للقدرة الجسمانية

والنفسية ورجاحة العقل لدى الأطراف جميعها التي اجتمعت على هذا العقد المجتمعي التشاركي الرائع والذي انفرد به الإسلام ليحمي الرجال والنساء من السقوط في براثن الحرام والعلاقات المتعددة خارج إطار الزواج ومحققاً الاستقرار النفسي داخل المجتمعات.

3-الحجاب أمر أساسي أم هامشي؟!

الحجاب هو زينة المرأة المسلمة ومناط عزتها وكرامتها. وللأسف وقد أصبح الإسلام متهماً في كل مكان والمدافعون عنه وعن أحكامه وشرائعه متخاذلون ودفاعهم باهت لهذا صار هذا الأمر مثاراً دائماً للتهكم على الالتزام الديني رافعاً من قدر السفور وحاملي راياته في قوة واستبسال.. قد يكون النقاب عادة ليست من شرائع الإسلام أما الحجاب الشرعي فهو فريضة على المرأة المسلمة ولا سبيل للالتفاف حول هذه الحقيقة والقول بأن المرأة السافرة التي لا تؤذي جيرانها أفضل عند الله من المرأة المحجبة التي تؤذي جيرانها، قول غير مكتمل واكتماله يتحقق بالقول إنّ المرأة المحجبة المزدانة بأخلاقها خير من كليهما... إن الجمع بين المظهر والجوهر واللباس المحتشم والأخلاق هو غاية الإسلام ومبتغاه ليصون عرى المجتمع من الضلال والتفكك والفساد.. سجود لاعبة رياضية مثلاً لله وهي بملابس لا تستر عورتها غير ملائم، فهل يسمح لها مدربها مثلاً أن تأتي التدريب بملابس النوم؟! بالطبع لا. ولكن عليها أن تأتي بالزي الرياضي المناسب

مع اللعبة وإلا سيطردها المدرب هذه حقوق المدرب، فما بالك بحقوق رب العالمين على عباده؟! أتخشون يا معشر المشايخ من قولها عالية: الحجاب واحتشام المرأة من شرائع الإسلام في زمن المثليين فيه اتخذوا علماً؟!

4-حرية العقيدة: لكل امرئ الحق في اتخاذ ديانته ومذهبه والتغيير بينها وقتما شاء، ولأسبابه المختلفة حتى يصل لتمام الاقتناع والإخلاص لله.. فالأديان والمذاهب في عمومها ليست بحاجة للمنافقين والمنتفعين فهم بمثابة أرقام زائدة بالتعداد لا تضيف شيئاً، بل ربما تحولت في وقت من الأوقات إلى قنبلة موقوتة داخل المجتمعات تشيع الفوضى والتشكيك وتدعو للفرقة لأنها تعاني من الإجبار وسلب حقوقها في الاختيار.

أما العزف على وتيرة عدم معقولية أن فريق ديني واحد يدخل الجنة والباقي كومبارس لا يدخلونها فهو أمر مردود عليه بالنظر للمسابقات من حولنا والتي لا تقبل إلا بفائز واحد هو الأصلح بين جملة من المتسابقين اجتهدوا جميعاً، ولكن الفائز كان الأكثر اجتهاداً ومداومة على العمل للوصول للنجاح، فأصبح جديراً بهذا النجاح الساحق هل منطق المسابقات خطأ؟! هل امتحانات الشهادات بمدارسنا وجامعاتنا بين متفوق وناجح وراسب باطلة؟! بالطبع لا فهذه سنة الكون.. إذاً هذه كتلك إن تذاكر تنجح وإن تجتهد تتفوق وإن تطع رب العالمين وتتبع دينه الحق ورضوانه تفُز، ولكن قلب الحقائق أصبح السمة المميزة لعالمنا.

5-مادة الدين هل من الواجب إضافتها للمجموع أم لا؟!: يقولون إنه منذ أن أصبحت مادة الدين لا تضاف للمجموع الكلي بالمراحل الدراسية وصارت المفاهيم الدينية غائبة عن مجتمعاتنا والتي شاع فيها الفساد والإفساد، والعنف والحقيقة أن الحل ليس أن تصبح مادة الدين مادة أساسية فالتعليم في عالمنا العربي بمواده الأساسية والفرعية محصلته صفرية لأنه مجرد استظهار يفتقد للتطبيق والدليل أمية خرجيه وعجزهم الشديد عن فهم الواقع والاستفادة منه في مجالاتهم.. إن المادة التي نحتاجها لتكون أساسية في مناهجنا هي مادة بناء الإنسان وتحت بناء الإنسان ضع كل الأدوات التي تعين على ذلك كالدين لغرس القيم والأخلاق وشرح المفاهيم للتفرقة بين الخير والشر والمشتبهات من القضايا فضلاً عن التصوف لتهذيب الطباع وتطهير النفوس علاوة على الفلسفة والمنطق للتحليل والفهم للظواهر وجوهر الأشياء. طبعاً لا أقصد بالفلسفة والمنطق تلك الصادرة عن فحول الملحدين وإلا صارت معول هدم وليس مادة بناء ولا ننسى تضمين كل ذلك بأدوات البحث العلمي ليصبح المتعلم قادراً على مواكبة تطورات عصره.

ربما لا يكون كلامي مقنعاً لك عزيزي القارئ ومازلت مصمماً أن الحل هو الدين مادة أساسية لذا سأحكي لك من وحي تجربتي عن معلم للدين لطلاب بالمرحلة الابتدائية والقصة المقررة عن صحابي جليل ولأن المعلم

دقيق للغاية، فقد كان يشرح القصة بحذافيرها كلمة كلمة ويسرف في شرح حياة أهل الجبل ومطاردة الشرطة لهم وإطلاق الرصاص عليهم وكيف يداون جراحهم عبر كيّ السكين لتطهيره، ثم غرسه في موضع الإصابة؟! تصور أن هذا شرح لتلاميذ في عمر الزهور لا تدري معه ما العلاقة بين الصحابي الجليل ومطاريد الجبل؟! وما هو المغزى التربوي الذي أراده المعلم؟! ولأن المدرس قد أخلص في شرحه، فلا يسمح في التسميع بخطأ ولو ضئيل وقد حمل معه عصا غليظة ومن يخطئ في حفظ الآيات أو السرد أو في المعاني عليه أن ينتقي بين خيارين كلاهما مؤلم إما الصفع على الوجه أو الضرب بالعصا على أطراف يديه أو قدميه أيهما أقرب؟! أي أننا أمام جهل إجباري فالمعلم هو الأجدر بالسعي لبنائه أولاً..

6-أطروحة المجدد: مشكلة الدين الحقيقة لدينا في عالمنا العربي أننا فهمنا معنى المجدد في الدين خطأ وأنه من يرتفع بالدين ويترجم مضمونه، ثم يعيد طرحه للناس جامعاً أتباعاً من حوله، والدين في الأساس مجموعة من المبادئ لا تحتاج لتجديد في ثوابتها وقضاياها، إنما تحتاج للغة ذكية ولبقة وعقلانية وأسلوب للتناول جذاب يناسب كل عصر ويفهم مصطلحاته واحتياجاته وأولوياته حتى لا ينفر الناس من الدين ويخشونه إن وجدوه ضارباً بهم في مجاهل الصحراء غارقاً بهم في مصطلحات الكتب القديمة.. الدين هو الباقي والمرء يعلو شأنه بالدين لا الدين من يعلو باجتهادات

الأفراد والجماعات، لذا حينما تجد إماماً كبيراً من زمن ما أصبحت فتاويه محركة للتشدد وكان الأولى وضعها في نصابها من التاريخ وأزمنة الحروب لنفهم أنها جاءت ملائمة لعصرها في كثير من الأحيان لكن وللأسف نجده قد أصبح مرجعاً لأتباعه في كل العلوم فيما له به علم وما ليس له به علم أيضاً، ومريدوه منصاعون له فرأس الحسين مثلاً ليست بالقاهرة لماذا؟! لأن الشيخ الجليل قال ذلك وهذا يكفي؟ وقد أتى بعد زمان الواقعة بزمان وللواقعة شهودها ولكن الشيخ أعلم من التاريخ!! وحينما يحرم الكيمياء بدعوى كونها سحر فهو يطعن أيضاً في وجود مؤسسها جابر بن حيان لأنه مجهول لا ذكر له بين أهل الدين!! فالشيخ أيضاً أعلم من العلم أيضاً.. هنا لا تستغرب أن يصبح الدين مخيفاً برجاله حينما يتغولون على علوم لا معرفة ولا دراية لهم بها كالتاريخ والعلوم التطبيقية..

7- اختلاط الخير والشر إلى حد صعوبة الفصل بينهما: لا شك أن أسوأ العهود التي مرت بمصر هي العصور المملوكية والعثمانية والتي دمرت الإنسانية بداخل المصريين وعطلت قدرتهم على التفرقة بين الخير والشر وأجهزت على أي حس إبداعي خلاق لديهم وجعلت من الدين مجرد شعائر مظهرية دون جوهر وجعلت من المشايخ منافقين يحللون ويحرمون تبعاً لأهواء الحاكم والمساجد في كل مكان تبنى بالسرقة والإكراه كي تكون طريق الحاكم المملوكي والعثماني نحو الجنة الموعودة.. عهود أعلت من شأن

السخف وأهدرت كرامة المصري في بشاعة وانحطاط هذه الأهوال التي دامت لأكثر من ثلاثة عقود تركت بصماتها على الإنسان المصري وشوشت تفكيره وخلقت حالة اللا مبالاة والاستسلام لديه.

وهذا هو لب موضوعنا وهو ضرورة إعادة تهذيب العقل وبناء الإنسان وقدرته على التزود بالعلم والمعرفة للحكم على الأشياء مع حقائق الدين وثوابته وقيمه حتى لا نجد شيخاً مهاباً يتطوع للحديث فيما يعلم وفيما لا يعلم وليس لديه الدراية الكافية عنه وحتى لا نجد الناس يسرق بعضهم بعضاً دون وازعٍ من ضمير، ويستأسد من بينهم القوي على الضعيف فيستحل عرقه فيما يشيد المساجد سعياً لرضا الربّ!! فيتحول الدين مع الوقت لعدو للمجتمع ولنهضته والدين من ذلك براء!!

8-الشيء لزوم الشيء: مثل لم ولن يصادف مقصده في مصر، فالمواطن مثلاً المطلوب منه ألا يلقي القمامة في الطريق ويواجه بأقسى النعوت والصفات بل وبالغرامة والحبس أيضاً، جراء تفريطه في هذا الواجب مع أننا لو تأملنا الواقع لوجدنا أنّ المواطنَ محقٌّ أحياناً؛ فشوارع كاملة لا يوجد بها حاوية قمامة أو تجد حاوية واحدة على مسافة كبيرة من منزله ويا ليتها تستوعب قمامة الحي، فعادة ما تكون إما مثقوبة من أسفل والقمامة متجمعة تحتها أو ممتلئة ولا مكان لقمامة جديدة سوى الأرض، ويا سلام لو كانت بمنطقة

يسكنها أعراب من رعاة الغنم، فلا حاجة أبداً لحاوية، فالقمامة جميعها في عرض الطريق!!

مصر البلد الوحيدة التي عليك أن تدفع رسوماً لدخول الحمامات العمومية بها إن وجدتها من الأساس في طريقك، لذا لا تندهش حينما تشم الروائح الآسنة في الشوارع ذلك أن غير القادرين على الدفع اتخذوا من الشارع مكاناً لقضاء حاجتهم.

إن علينا حينما نخطط لأمر ما كالنظافة في الشوارع مثلاً أن نضع خططاً تراعي كل شيء وأن تكون الحاويات كافية وفي كل مكان وأن تكون الحمامات العمومية بعددٍ كافٍ بالشوارع وبالمجان في بعض الأماكن الشعبية مع ضرورة الاستفادة من القمامة وفصلها وإعادة تدويرها..

9-لا تذهب للحج أو لا تبنِ مسجداً لكن ابنِ مدرسة: حق يراد به باطل والصواب اذهب للحج وابنِ مسجداً؛ ففي ذلك أداء لحق رب العالمين وتعظيم لشعائره، وفي نفس الوقت ابنِ أيضاً مدارس عدة أو وجه من مالك لإقامتها مع آخرين، وفي ذلك أداء لحق العباد عليك والمال مال الله في النهاية. ما هي المشكلة أن تجمع بين الحسنيين، وأن تجعل لك رصيداً من الخير الوفير.

10-أجر المرأة عن الرضاعة: دعوات مؤسفة تحط من قدر المرأة وكرامتها، من حيث أرادت أن تظهر غيرتها على المرأة وحقوقها؛ فالزوجة الراعية في

بيت زوجها تقود زمام بيتها وتقوم على شؤونه برجاحة عقلها، وتمام تدبيرها وتغدق على أطفالها من فيض حنانها وعذوبة عاطفتها؛ فتحسن تغذيتهم بما آتاها الله من رزق أودعه لديها، دون حول ولا قوة منها ليكون أمناً وأماناً وأمانة؛ فبدلاً من أن يكون غرساً للتراحم تحول لسلعة تنتظر عليها مقابلاً بخساً؛ فيضيع المعروف بين العباد، وكما تطلب الأم من أبنائها نظير تغذيتهم اليوم؛ لا تندهش غداً حينما يطلب منها أبناؤها أجر رعايتها عند المشيب!

****

السيرة الذاتية للمؤلف

د. محمد فتحي عبد العال

من مواليد الزقازيق محافظة الشرقية بمصر عام **1982**

المؤهلات العلمية:

1-بكالوريوس صيدلة جامعة الزقازيق **.2004**

2-دبلوم الدراسات العليا في الميكروبيولوجيا التطبيقية جامعة الزقازيق**.2006**

3-ماجستير في الكيمياء الحيوية جامعة الزقازيق **.2014**

4-دبلوم الدراسات العليا في الدراسات الإسلامية من المعهد العالي للدراسات الإسلامية**.2017**

5-شهادة إعداد الدعاة من المركز الثقافي الإسلامي التابع لوزارة الأوقاف **.2017**

6-دبلوم مهني في إدارة الجودة الطبية الشاملة من أكاديمية السادات للعلوم الإدارية **.2017**

المؤلفات الفكرية:

1-كتاب تأملات بين العلم والدين والحضارة -دار الميدان للنشر والتوزيع في جزئين**2019**و**2020.**

2-كتاب مرآة التاريخ-دار ديوان العرب للنشر والتوزيع **2020** .

3-كتاب على هامش التاريخ والأدب -دار ديوان العرب للنشر والتوزيع **2021.**

4-كتاب جائحة العصر (الجزء الأول)- دار النيل والفرات للنشر **2020** .

5-كتاب حكايات الأمثال -دار ديوان العرب للنشر والتوزيع.**2021**

6-كتاب فانتازيا الجائحة-دار ديوان العرب للنشر والتوزيع **.2022**

7-كتاب صفحات من التاريخ الأخلاقي بمصر-دار ديوان العرب للنشر والتوزيع **2022** .

8-كتاب حكايات من بحور التاريخ -دار ديوان العرب للنشر والتوزيع **2021.**

9-كتاب حواديت المحروسة - دار ديوان العرب للنشر والتوزيع **.2022**

10-كتاب من سجايا رمضان أسماء الله الحسنى- دار ديوان العرب للنشر والتوزيع **.2022**

11- كتاب تانزاكو السعادة - دار ديوان العرب للنشر والتوزيع **2022.**

الروايات والمجموعات القصصية:

1-رواية ساعة عدل-دار ديوان العرب للنشر والتوزيع **.2020**

2-رواية خريف الأندلس-دار لوتس للنشر الحر **2021**

3-المجموعة القصصية في فلك الحكايات -دار ديوان العرب للنشر والتوزيع **.2021**

4-المجموعة القصصية حتى يحبك الله-دار ديوان العرب للنشر والتوزيع **.2022**

5-مسرحية أقدام على جسر الشوك - دار ديوان العرب للنشر والتوزيع **.2022**

وقد شاركت الكتب بمعارض القاهرة والإسكندرية والسودان وإسطنبول وعمان وتونس.

الكتب الإلكترونية:

1- كتاب نسائم القلب (هايكو)

المشاركات في كتب جماعية:

أولاً: في مجال الكتب العلمية:

1-المشاركة في كتاب الأمن الصحي كأحد مهددات الأمن القومي والمجتمعي العالمي الصادر عن المركز الديموقراطي العربي ببرلين بألمانيا ببحث تحت عنوان "جائحة كورونا خيارات علاجية".**2020**

2- المشاركة بمقال علمي تحت عنوان "نحو علاج ناجع لفيروس كوفيد **19**" في الكراس العلمي الإلكتروني لكلية النسور الجامعة بالعراق "مقالات تثقيفية خاصة بكوفيد **19**" .**2021**

3-المشاركة ببحث في الكتاب الجماعي الرابع لسلسلة الدراسات الاجتماعية -مجتمع الكورونا إلى أين التداعيات والرهانات الصادر عن مخبر البحوث والدراسات الاجتماعية بكلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإنسانية لجامعة **20** أوت **1955** سكيكدة الجزائر **2022.**

ثانياً: المشاركة في كتب جماعية في مجال القصة القصيرة والمقال:

1- كتاب ديوان العرب الجزء الثالث (المقال)-دار ديوان العرب للنشر والتوزيع .**2020**

2-كتاب أقلام عابرة (قصص قصيرة)-دار ديوان العرب للنشر والتوزيع **2021.**

3-كتاب صليل الحروف موسوعة أدبية الجزء الثاني (قصص قصيرة) -دار ديوان العرب للنشر والتوزيع **.2021**

4-كتاب سفراء الدهشة (قصص) -دار يسطرون للطباعة والنشر **.2022**

5-كتاب قصتي لك (قصص قصيرة) -دار كيانك للنشر والتوزيع **.2022**

6-كتاب على جناح الحلم (قصص قصيرة) دار لوتس للنشر الحر **.2021**

7-كتاب حينما نطرق الأبواب (مقالات) دار لوتس للنشر الحر **.2022**

8-كتاب افتراضي (قصص قصيرة) تحت إشراف دكتور عصام محمود أستاذ النقد الأدبي جامعة حلوان -دار السعيد للنشر والتوزيع **.2022**

9-الكتاب الذهبي مئة قصة لمئة مبدع من **11** دولة -مؤسسة روز اليوسف **.2021**

10-كتاب دفتر وقلم شموع عربية الجزء الثاني -دار جين للنشر والتوزيع-ليبيا

11-من إبداعات الملتقى قصص قصيرة -دار الملتقى للنشر والتوزيع **.2020**

الجوائز والتكريمات التي حصل عليها:

1-صيدلي مثالي من الهيئة العامة للتأمين الصحي فرع الشرقية **2017** .

2-صيدلي مثالي من نقابة صيادلة الشرقية **2015** ودرعي نقابة صيادلة الشرقية ونقابة صيادلة مصر.

2-درع ملتقى ابن النيل الأدبي في القصة القصيرة **2021.**

3-شهادة تكريم ضمن الفائزين في مسابقة القصة القصيرة من مؤسسة روز اليوسف "مائة قصة لمئة مبدع من **11** دولة" في كتابها الذهبي **2021** .

4-شهادة تقدير من نقابة صيادلة الجيزة

ولجنة الثقافة والإبداع ضمن فاعليات مهرجان الإبداع الصيدلي الخامس.**2021**

5-درع التميز والإبداع من مجلة آمارجي العراقية **2018.**

6-شهادة تقدير من مهرجان الإبداع والمبدعين العرب في دورته الخامسة تحت رعاية دار جين للنشر والتوزيع بمدينة البيضاء في ليبيا في ديسمبر **2020.**

الحوارات واللقاءات:

1-لقاءات مع التليفزيون المصري برنامجي بالريشة والقلم وأنا من البلد دي.

2-لقاءات مع الإذاعة الفرنسية راديو مونت كارلو والإذاعة المصرية.

بالإضافة لعدد من اللقاءات الصحفية والإذاعية الأخرى.

المناصب التي شغلها:

1-رئيس قسم الجودة بالهيئة العامة للتأمين الصحي فرع الشرقية سابقاً.

2- صيدلي ومسؤول إدارة المخاطر وسلامة المرضى ومؤشرات الأداء بمستشفى الفلاح الدولي بالرياض سابقاً

3-كاتب وباحث وروائي مصري

النشر الصحفي والمقالات بصحف عربية ودولية:

1-مصر: الأهرام -الأهرام المسائي -روز اليوسف -الزمان -العروبة -الجمهورية

2-الجزائر: صوت الاحرار -الجديد-كواليس -الأمة العربية -الجمهورية

3-ليبيا: فيسانيا -صدى المستقبل

4-صحف للجاليات العربية بالغرب: أيام كندية بكندا وصوت بلادي بالولايات المتحدة الأمريكية

5-العراق: الموقف الرابع-مجلة المرآيا-بانوراما شباب-الصباح - الدستور-البينة الجديدة

الموسوعات التي ورد ذكر سيرته وإسهاماته بها بين عامي **2019**-:**2021**

1-موسوعة صحفيون بين جيلين -الجزء الثاني إعداد صادق فرج التميمي- العراق

2-مجموعة من أدباء العرب شهريار في بغداد سير ونصوص إعداد د. زينب السوداني وعبد الزهرة عمارة -إصدارات آمارجي الأدبية العراق.

3-الفيصليون وما يسطرون سجنوه في كتاب-إصدارات الفيصل -باريس.

4-دليل آفاق حرة للأدباء والكتاب العرب الإصدار الثالث إعداد الشاعر محمد صوالحة والروائي محمد فتحي المقداد- الأردن.

5-الموسوعة الحديثة للشعراء والأدباء العرب الجزآن الخامس والثامن عن دار الرضا للنشر والتوزيع ودار الجندي للنشر والتوزيع- مصر.

****



مقالات

على مقهى الأربعين

د. محمد فتحي عبد العال

الطبعة الأولى

1443 هـ 2022 م

دار ديوان العرب للنشر والتوزيع

مصر – بورسعيد

جوال: 00201211132879

00201030502390

E-mail: mohamedhamdy217217@gmail.com